

فتح رب البرية

ما عند فرقة الأحباش
من الكفر والضلالات الردية

كتبه:

أبو قتادة عبد الله بن مزمل الحبشي

قد مرّ له:

فضيلة الشيخ الفقيه

أبي عبد الله

محمد بن علي بن حزام الفضلي البغدادي

حَفَظَهُ اللهُ

فضيلة العلامة المحدث

الناصح الأمين

أبي عبد الرحمن

يحيى بن علي بن أحمد الحجوري

حَفَظَهُ اللهُ

مَحْفُوظٌ جَمِيعُ الْحَقُوقِ

ولا تجوز ترجمته هذا الكتاب إلى أي لغة
أو نسخه على أي نظام إلا بإذن مسبق من الناش

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ

دَارُ كُنُوزِ دِمَاجٍ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

اليمَن / ٧٧٣٤٤٨٠٢٠

بُوركت باد مَاج غُرَّة دهرنا مِنْ مَوَرِدِ الْعِلْمِ عَذْبِ الْمَنْهَلِ
بُوركت صرحا للهدى يُغزى إلى الـ عِلْمُ الْمُبْجَلِ ذِي الْإِمَامَةِ مُقْبِلِ

www.konoozdamaj.net

konoozdamaj@gmail.com

مَكْتَبَةُ الْفَلَاحِ

alfalah1428@yahoo.com

تقديم فضيلة العلامة الناصح الأمين
تحيى بن علي الحجوري حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ومصطفاه صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد :

فقد تصفحت بعض ما جمعه أخونا الطالب الفاضل عبد الله بن مزمل
الحبشي حفظه الله في بيان حال عبد الله الهري الحبشي وفرقة الضالة، فرأيت هذا
الهري وإيأهم جمعوا في أقوالهم وعقيدتهم كلّ بلاء فأخذوا من الرافضة ومن
الجهمية ومن المعتزلة ومن الصوفية والمرجئة وخلطوا من كلّ هذه الفرق الضالة
في منهجهم الفاسد ما هو كفيل بهدم دين الله الحقّ فالواجب شدة الحذر
والتحذير من هذا الرجل المارق وفرقته وما هذه الرسالة الطيبة إلا من باب
النصح للمسلمين وتحذيرهم من الشر الممين فجزي الله كاتبها خيراً ونفع به.

كتبه:

تحيى بن علي الحجوري

في ٢٥ ربيع الثاني ١٤٣٣هـ



تقديم فضيلة الشيخ الفقيه محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني حَفِظَهُ اللهُ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد :

فمن حكمة الله عز وجل أن يبقى الحق والباطل في صراع إلى أن تقوم الساعة ،
فطوبى لإنسان كان في عسكر أهل الحق مدافعاً عن دين الله عز وجل ، فيكون
مَنْ قال فيه النبي ﷺ : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ
خَذَلَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ » .

وقد وفق الله أخانا أبا قتادة عبد الله بن مزمل الحبشي لأن يجمع هذا
الكتاب "فتح رب البرية" الذي ردّ فيه على تلك الفرقة الضالة المسماة بـ:
(فرقة الأحباش) وهي فرقة جمعت ضلالات الأشعرية مع بعض ضلالات
المعتزلة ، فبين وفقه الله ضلالاتهم مع الردّ عليهم فأحسن في ذلك وفقه الله وثبته
الله على السنّة إلى يوم الدين وبالله التوفيق.

كتبه:

أبو عبد الله محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني

يوم الاثنين الموافق : ٢٥ / ذو الحجة / ١٤٣٢ هـ

مَقَلَمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

فإن خير الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، أما بعد :

لقد بعث الله عز وجل في كل أمة رسولا ليعين لهم الذي اختلفوا فيه وليبين لهم سبيل الرشd والهدى ويحذرهم من سبل الغي والردى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، وأعطى لكل واحد منهم من

الآيات مأمثلة آمن عليه البشر ففي "صحيح البخاري" (٤٩٨١) و"مسلم" (١٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» الحديث، وجعل حقا عليهم أن يدلوا أمتهم على خير ما علموه لهم ويحذروهم من شر ما علموه ما من خير من خيري الدنيا والآخرة إلا دلوا أمتهم عليه ولا شر من شري الدنيا والآخرة إلا حذروا أمتهم منه وفي صحيح مسلم (١٨٤٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَيُنْذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ هُمْ» الحديث.

وجعلهم حجة على خلقه وشهيدا عليهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وبعث في هذه الأمة المرحومة محمدا صلى الله عليه وسلم رحيمًا رؤوفا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وأوجب طاعته فيما أمر قال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢] الآية، وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نها وزجر قال تعالى: ﴿وَالنَّجْوَى إِذَا هُوَ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ② وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْمَوَى ③﴾ [النجم: ١ - ٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وأمر أن لا يعبد إلا بما شرع وامتحن باتباعه من ادعى محبته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل

عمران: ٣١]، وحذر من مخالفة أمره وشق عصاه، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقد بعثه الله عز وجل بدين يسر سمح ليس فيه أي حرج ولا عوج، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ» رواه "البخاري" (٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وجعله على شريعة من الأمر فأمره باتباعها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الحاشية: ١٨]، وأمر المؤمنين أن يؤمنوا بجميع ما جاء به ولا يفرقوا بين أحد من رسله، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وقال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقد دخل بالإيمان بالله ورسوله جميع ما أخبر الله به في كتابه وما أخبر به رسوله عنه من الأساء والصفات والأمور الغيبيات وقد أنزل الله الكتاب باللسان العربي وهم أفهم الناس باللسان العربي ومدلولاته، وفي "صحيح البخاري" (٤٩٨٧) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لعبد

الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام - حين جمعوا القرآن - : « إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَارْتَبِعُوا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلسَانِهِمْ ». وفهموه من الله ورسوله على مراد الله ورسوله الذي هو مقتضى لسان العرب، وأقروا به إيماناً وتصديقاً بما فيه من الأسماء والصفات بل قالوا سمعنا وأطعنا واستسلموا لشريعة الله وفهموا معناها ولم يتعرضوا لتحريفها وتعطيلها ولم يتكلفوا بالبحث عن كنهها وحقائقها الذي حجب عنهم علمه وحظر مرامه لأن هذا شأن من لم يقنع بالتسليم فهمه وحجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان فأثنا الله عليهم بهذا الاستسلام والقناعة، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وفي حديث عمران بن حصين وابن مسعود رضي الله عنهما في "البخاري" (٢٦٥١) و(٢٦٥٢) و"مسلم" (٦٤٧٥) و(٦٤٦٩) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» الحديث، بل جعل إيمانهم ميزاناً لإيمان من بعدهم ومخالفة سيرهم سبباً من أسباب الهلاك وولوج النار، قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وسار بسيرهم التابعون لهم بإحسان بعدهم وأخذوا عنهم هذا العلم والاستسلام حتى بلغوه شرقاً وغرباً واستحقوا رضوان الله كما أثنا الله عز وجل عليهم بقوله: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ

يُحَسِّنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرِضُوا عَنْهُ وَاعِدَ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿[التوبة: ١٠٠].

ولم يزل أمر الناس جميعا في العلم والإيمان والاستسلام كذلك حتى نبغت نابغة تحاصم في القدر وتقول: الأمر أنف وكان هذا بعد خروج الخوارج الذين أصلهم في عهد رسول الله وقام عليهم الصحابة وقتلوه بعد ظهور بغيتهم وعدوانهم على أصحاب رسول الله ﷺ ولم تكن لهم أي مكانة ولم تقم لهم قائمة وبرزت هذه الفرقة من قبيل البصرة وكان الصحابة لهم بالمرصاد وقد بينوا ضلالاتهم وكفرهم وتحيز كثير من الفرق تفرق الناس وذهب كثير من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وكان الحال حين ذاك في العلم والإيمان والاستسلام كحال القرن الأول إلا أن كثير من الفرق التي كانت تتحيز افتراق الناس وذهب كثير من الصحابة والصالحين أظهرت ماكانت تبطنه وما لا تتظهر به ورفضة الروافض واعتزلت المعتزلة وتجهمت الجهمية وانتشرت الجبرية والقدرية وغيرهم ومع ذلك كان أهل العلم لهم بالمرصاد حتى كانوا ميسألون عن السند حتى وقعت الفتنة وانتشرت البدع والحوادث قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ عنهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ عنهم وقد بينوا ضلالاتهم وخرافاتهم وإحداثهم.

وقال الإمام عبد الله بن سعيد الدارمي في كتابه "الرد على الجهمية" (ص ٢٦): وما ظننا أن تضطر إلى الاحتجاج على أحد ممن يدعي الإسلام في إثبات العرش والإيمان به حتى ابتلينا بهذه العصاة الملحدة في آيات الله فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا. ١. هـ

وردوا أباطيلهم ومعتقداتهم الفاسدة بالقول والبنان وقد أفردوا في ذلك عدة مصنفات كـ "الرد على الجهمية" لأحمد بن حنبل، وكذا "الرد على الجهمية" للدارمي، و "نقض الدارمي على المريسي" لعبد الله بن سعيد الدارمي أيضاً وسار على سيرهم وانتهج على نهجهم ومنوالهم أهل العلم في كل زمان وكل بقاع الأرض وما تظهر طائفة إلا أنشأ الله عز وجل للأمة من يبين لها الحق من الباطل والهدى من الردى والرشد من الغي والهوى، وما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية كـ "نقض التأسيس" و "دراً تعارض العقل والنقل" و "منهاج السنة النبوية"، و "بيان تلبيس الجهمية"، و "التسعينية"، و "اقتضاء الصراط المستقيم"، وكذا كتب تلميذه البار الإمام ابن القيم كـ "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"، و "اجتماع الجيوش الإسلامية"، وغيرهما، وكذا كتب الإمام الذهبي كـ "علو العلي الغفور" إلا من هذا الباب -من باب بيان ضلالات وتلبسات أهل البدع-.

وقد ظهرت أخيراً فرقة تسمى: (فرقة الأحباش) وقد عمد زعيمها الضال عبد الله المهرري الحبشي إلى أصول تلك الفرق التي ظهرت في صدر الأمة وأخذ من كل منها شعبة من شعب البدع والضلال في بث الشر وإفساد المعتقد الصحيح حتى جمع وأنتج فرقة مختلجة مختلطة زائغة وقد أخذت:

الإرجاء في الإيمان من المرجئة، والجبر في القدر من الجبرية، والطعن في الصحابة الكرام من الرافضة، ونفي بعض الصفات من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ولم تكتفِ في ذلك حتى أضافت دعاء غير الله عز وجل وعبادته من المشركين وطلب قضاء الحوائج من الموتى من التيجانية والصوفية القبورية، بل لم تكتفي بذلك حتى اعتقدت أن عبد القادر الجيلاني ينفخ نفخة في النار حتى

يطفأها وغير ذلك من الخزعبلات التي تراها في موضعها وقد بيّن كثيرٌ من أهل العلم غيها وعوارها ولكن كان يحتاج إلى زيادة في المناقشة في بعض المسائل المهمة التي خالفت فيها جماعة المسلمين وحالفت فيها فرق الضلال والمجرمين.

وجمع لكلام هؤلاء الأئمة الناصحين، وها نحن نستعين بالله عز وجل لجمع ما رأيناه مهماً عنهم حتى لا يغتر بهم عوام الناس وطغامهم، وناسب ذلك نزول كثيرٍ منهم أخيراً الحبشة لبث أفكارهم الهدامة في تمزيق شمل المسلمين وجماعتهم وإلقاء الشحناء والبغضاء بينهم حتى يكفر بعضهم بعضاً بأدنى الشبه وتشتد العداوة والبغضاء حتى يخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي الكفار الذين يسعون لهم سعيًا حثيثاً في إلقاء الشحناء والبغضاء بينهم وأعانهم على ذلك ما تصب عليهم من الأموال التي يجرونها راتباً على من صار معهم ونهج نهجهم حتى أثار الريب في قلوب كثيرٍ من الصالحين وجعلهم يقولون: «وراء الأكمة ما وراءها» وقوى هذا ما ذكره صاحب الموسوعة الميسرة عنهم بقوله: «لديهم العديد من الشخصيات العامة مثل النائب البرلماني عدنان الطرابلسي ومرشيتهم الآخر طه ناجي الذي حصل على ١٧٠٠ صوتاً معظمهم من النصارى حيث وعدهم بالقضاء على الأصولية الإسلامية ولكن لم يكتب له النجاح». اهـ

ونذكر أصول معتقدتهم واعتمدنا في كثير من النقول عنهم: "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة"، و"موسوعة أهل السنة والجماعة" وقد ذكر صاحب الموسوعة الأخيرة كثيراً من معتقداتهم وتفرداتهم وناقشهم في كثير منها مع إطناب وإسهاب في بعضها فجزاه الله خيراً.

ورأينا أن نجمع عنهم ما تيسر من كتب أهل العلم المعتمدة بدأ بالأهم فالأهم،
فنسأل الله العظيم أن يكسر شوكتهم ويكفي المسلمين شرهم وشر كل ذي شر،
وينفعنا وإياهم بهذه الورقات العديدة وهو ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله.

كلمة شكر

انطلاقاً من قول النبي: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»:

أقول: جزى الله شيخنا العلامة الناصح الأمين أبا عبد الرحمن تخيي بن
علي الحجوري على ما قام به من الجهد في الدعوة إلى الله عز وجل.

وكذا جزى الله أخانا: أبا عبد الرحمن جمال بن ياسين الحبشي، وأبا عبد
الرحمن أبرار بن محمد الحبشي على ما قاما به من الدعوة إلى الله والصبر على ذلك
فجزاهم الله عنا وعن المسلمين خيراً.

وكذا جزى الله: أخانا أبا عبد الرحمن عبد العزيز بن مدثر الحبشي، وأبا عبد
الله جبريل الفرنسي على ما قام به من التعاون في إخراج هذا البحث.

وجزى الله سائر إخواننا الطيبين خيراً ووفقنا وإياهم وسائر المسلمين لكل خير.

كتبه:

أبو قتادة عبد الله بن مزمل الحبشي

صباح يوم السبت: ١ / ذو القعدة / عام ١٤٣٢ هـ

دار الحديث بدماج

اليمن - صعدة - دماج الخير

فرقة الأحباش

هي طائفة ضالة تنسب إلى عبد الله الهرري الحبشي ظهرت حديثاً في لبنان مستغلة ما خلفته الحروب الأهلية اللبنانية من الجهل والفقر الدعوة إلى إحياء مناهج أهل الكلام والصوفية والباطنية بهدف إفساد العقيدة وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية أسسها عبد الله الهرري هو عبد الله بن محمد الشيبى العبدري نسباً الهرري موطناً نسبة إلى مدينة هرر بالحبشة ولد فيها بقبيلة تسمى الشيبان نسبة إلى قبيلة شيبية ودرس في باديتها اللغة العربية والفقه الشافعي على الشيخ سعيد بن عبد الرحمن النور والشيخ محمد يونس جامع الفنون، ثم ارتحل إلى منطقة حجة وبها درس على الشيخ الشريف وفيها نشأ شذوذه وانحرفه إلى الطريقة التيجانية ثم ارتحل إلى منطقة داويء من مناطق أروما ودرس صحيح البخاري وبعض العلوم على الحاج أحمد الكبير ثم ارتحل إلى قرية قريبة من داويء فالتقى بالشيخ مفتي السراج تلميذ يوسف النبهاني صاحب كتاب "شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق" ودرس على يديه ومن هنا توغل في الصوفية وباع على الطريقة الرفاعية.

ثم أتى إلى سوريا ثم إلى لبنان من بلاد الحبشة في إفريقية عام ١٩٦٩م وذكر أتباعه أنه قدم عام ١٩٥٠م بعد أن أثار الفتنة ضد المسلمين في تلك البلدة بالتعاون مع الحكومة الحالية حينذاك (الحكومة الهيلسلاسية) وتسبب لحبس كثير من

المسلمين وتغرب جماعة آخريين فيما عرف بتنة بلاد كلب (قلب) حتى أطلق عليه كثير من الناس هناك صفة (الفتان) أو (شيخ الفتنة) وبعد قدومه سوريا ثم لبنان يعمل على بث الأحقاد والضغائن ونشر الفتن كما فعل في بلاده وسعى كل السعي في ترويج عقيدته الفاسدة الشركية والمذهبية وترويج لمذهب المعتزلة والجهمية والباطنية وغير ذلك إضافة إلى ما عنده من الفتاوى الشاذة المضطربة المخالفة للكتاب والسنة وفتن الحبشي كثيرا من الشباب وأخرج مجموعة كبيرة من المتبحرين والمتعصبين الذين لا يرون مسلما إلا من أعلن الإذعان والخضوع لعقيدة شيخهم الفاسدة مع ما فيها من الجبر والإرجاء والتجهم والإعتزال يطرقون بيوت الناس ويلحون عليهم العقيدة الحبشية ويوزعون عليهم كتب شيخهم.

وكان من أبرز من تجلد لهذه الفكرة الهدامة بعد مؤسسها نائب الحبشي نزار الحلبي وحسان قرقيرا وكمال الحوت وكمال الدين حيدر وعبد الله الباوردي وهؤلاء الذين يشرفون على أكبر أجهزة الأبحاث والمخطوطات مثل المؤسسة الثقافية وقد بدؤوا أخيرا في تحقيق كتب التراث تحقيقا جهما أشعريا ويحيلون إلى اسم غريب لا يعرفه حتى طلبة العلم ويقولون مثلاً قال الحافظ العبدري في دليله ويتوهم إلى ذهن القاري أنه يعني حافظا من الحفاظ كالنووي وابن حجر ويعني هو بذلك عبد الله الهرري العبدري ويعني بالدليل كتابه الدليل القويم إلى الصراط المستقيم ويتنشر الأحباش في لبنان بصورة تثير الريب حيث انتشر مدارسهم الضخمة وصارت حافلاتهم تملأ المدن وتفوق أبنية مدارسهم المدارس الحكومية.

وأصبحت لهم إذاعة تبث أفكارهم وتدعوا إلى مذهبهم وكذلك يتنشر أتباع الحبشي في أوروبا وأمريكا وكندا وأستراليا والسويد والدينمارك وفرنسا وغيرها

وقد أثاروا في بعض تلك الدول فتنة بسبب فتوى شيخهم في تحويل القبلة إلى جهة الشمال قريبا من تسعين درجة وهناك لهم بعض الأتباع الذين يغتروا بدعوة الحبشي. انظر "الموسوعة الميسرة" (١/٤٣٠-٤٣٢).

وهانحن نذكر بعون الله عز وجل بعض الهفوات والشطحات التي يتظاهرون بها عند الناس مع مناقشتها مناقشة علمية لإرادة النصح والبيان.



توحيد الله عز وجل

التوحيد لغة: من وحد، يوحد، توحيذاً، إذا أفرد .
وشرعاً: إفراد الله عز وجل بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته .
وقد خدش الأحباش في جميع أنواعه .

توحيد الأسماء والصفات

استواء الله على عرشه:

الإستواء: هو العلو والإرتفاع على العرش وهو خاص بالعرش .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٣٩٦/١٦): الإستواء
مختص بالعرش بإجماع المسلمين . ١. هـ

والإستواء إما أن يأتي مطلقاً: أي غير معدى بحرف جر فهو إذا بمعنى التمام
والكمال كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤] الآية، أي كمل .

وإن كان مقيداً أي معدى بحرف جر إما أن يعدى بحرف (إلى) فهو حينئذ
بمعنى العلو والإرتفاع، وقيل: وبمعنى الاعتدال أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ
الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] الآية .

أو يكون معدى بـ: (على) فهو موطن الكلام هنا ولا يخرج عن أربع معان
بإجماع المسلمين:

٢- العلو.

١- الاستقرار.

٤- الصعود.

٣- الإرتفاع.

قال العلامة ابن القيـري في "نونيـه":

قد حصلت للفرس الطعان
تفع الذي مافيه من نكران
وأبو عبيدة صاحب الشيباني
أدرى من الجهمي بالقرآن

فلهم عبارات عليها أربع
وهي استقر وقد علا وكذلك ار
وكذاك قد صعد الذي وهو رابع
يختار هذا القول في تفسيره

والعرش: هو سقف المخلوقات أو سرير الرحمن على الوجه اللائق به.

انظر: "تفسير البغوي" (١٣٧/٢).

وعلو الله على عرشه يشمل علو ذاته، وقدره، وقهره، وصفة العلو والإستواء
ثابتان لله بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .

وأما الأحباش: يحرفون صفة الإستواء وينفون صفة العلو الذاتي، قال
الحبشي في كتابه: "إظهار العقيدة السنية" (ص ١٣١) وقد وافقت المعتزلة أهل
السنة في تفسير الإستواء بالإستيلاء. اهـ

بل لم يكتفوا بذلك حتى كفّروا من قال أن الله فوق السماء مستوي على
عرشه، وقالوا كما في شريط: "منار الهدى" لنبيـل شريف: «من قال لا إله إلا الله
وهو يعتقد أن الله في السماء لا تنفعه هذه الشهادة وهو كافر؛ لأن الشهادة تنفع
مع الإعتقاد الصحيح أما من تلفظ بها بلسانه وعقيدته فاسدة فإنها لا تنفعه
وعقيدتهم هذه مشهورة عنهم وقد شهد بها جماعة عند الشيخ مقبل كما سيأتي

ذكره إن شاء الله وصارت سيمتهم عند كثير من الناس وعقيدتهم هذه باطلة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة والعقل ، والفطرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: في "نقض التأسيس" (١/٣٦٨): وقد ثبت بالفطرة التي اتفق عليها أهل الفطر السليمة وبالنقول المتواترة عن المرسلين من الأخبار وما اتفقت عليه كتب الله واتفق عليه المؤمنون بالرسول قبل حدوث البدع ان الله تعالى فوق العالم وثبت أيضا بالكتاب والسنة والإجماع أنه استوى على العرش فالعلو على العالم معروف بالفطرة والمعقول وباشرع والمنقول. اهـ

• أما الكتاب والسنة :

فقد جاء الإستواء على العرش مصرحاً في سبع مواضع في القرآن قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وكذا جاء ذكر الاستواء على العرش في [يونس: ٣]، و[ورعد: ٢]، و[وطه: ٥]، و[الفرقان: ٥٩]، و[السجدة: ٤]، و[الحديد: ٤].

وقال ابن أبي العز رحمته الله : بعدما ذكر الدليل العقلي لعلو الله عز وجل: فكيف إذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عبادته، التي تقرب من عشرين نوعاً:

أحدها: التصريح بالفوقية مقروناً بأداة (من) المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾

[الأنعام: ١٨].

الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله ﷺ: « يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ ».

الرابع: التصريح بالصعود إليه. كقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠].

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨]. وقوله: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

السادس: التصريح بالعلو المطلق، الدال على جميع مراتب العلو، ذاتا وقدرًا وشرافًا، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَعْلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ وَهُوَ أَعْلَى الْكَرِيِّ ﴾ [سبأ: ٢٣]، ﴿ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥١].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله تعالى: ﴿ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [غافر: ٢]، ﴿ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١]، ﴿ نَزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [فصلت: ٢]، ﴿ نَزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿ قُلْ نَزَلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿ حَمَّ ١ ﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [الدخان: ١ - ٥].

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ ۥ

يَسْجُدُونَ ﴿ [الأعراف: ٢٠٦] ، ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿ [الأنبياء: ١٩] ، ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿ [الأنبياء: ١٩] . ففرق بين (من له) عموماً، وبين (من عنده) من ملائكته وعبيده خصوصاً، وقول النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: «أنه عنده فوق العرش».

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين:

- إما أن تكون (في) بمعنى (على).
- وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره.

العاشر: التصريح بالاستواء مقروناً بأداة (على) مختص بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحباً في الأكثر لأداة (ثم) الدالة على الترتيب والمهلة.

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى، كقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفَرًا»، والقول بأن العلو قبلة الدعاء فقط باطل بالضرورة والفطرة، وهذا يجده من نفسه كل داع. كما يأتي إن شاء الله تعالى.

الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفلى.

الثالث عشر: الإشارة إليه حساً إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم بربه وبها يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر، لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع

لأحد مثله، في اليوم الأعظم، في المكان الأعظم، قال لهم: «أَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ»، قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ، فَرَفَعَ أَصْبَعَهُ الْكَرِيمَةَ إِلَى السَّمَاءِ رَافِعًا لَهَا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهَا وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، قَائِلًا: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ». فَكَأَنَّا نَشَاهِدُ تِلْكَ الْأَصْبَعِ الْكَرِيمَةَ وَهِيَ مَرْفُوعَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَذَلِكَ اللِّسَانُ الْكَرِيمُ وَهُوَ يَقُولُ لِمَنْ رَفَعَ أَصْبَعَهُ إِلَيْهِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ بَلَغَ الْبَلَاحَ الْمُبِينِ، وَأَدَّى رِسَالَةَ رَبِّهِ كَمَا أَمَرَ، وَنَصَحَ أُمَّتَهُ غَايَةَ النَّصِيحَةِ، فَلَا يَحْتَاجُ مَعَ بَيَانِهِ وَتَبْلِيغِهِ وَكَشْفِهِ وَإِضَاحِهِ إِلَى تَنْطَعِ الْمُنْتَطَعِينَ، وَحَذَلْقَةِ الْمُتَحَذَلِّقِينَ! وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الرابع عشر: التصريح بلفظ (الآين) كقول أعلم الخلق به، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بيانا عن المعنى الصحيح، بلفظ لا يوهم باطلا بوجه: «أَيْنَ اللَّهُ؟»، في غير موضع.

الخامس عشر: شهادته ﷺ لمن قال إن ربه في السماء بالإيمان.

السادس عشر: إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء، ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السماوات، فقال: ﴿فَأَوْفِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]. فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني، ومن أثبتته فهو موسوي محمدي.

السابع عشر: إخباره ﷺ أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدة مرار.

الثامن عشر: النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى، من الكتاب والسنة، وإخبار النبي ﷺ أنهم يرونه كرؤية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، فلا يرونه إلا من فوقهم، كما قال ﷺ: «يُنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الْجَبَّارُ جَلْ جَلَالَهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَقَالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، ثم يتوارى عنهم، وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم». مرواه الإمام أحمد في "المسند" وغيره، من حديث جابر رضي الله عنه. ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية. ولهذا طرد الجهمية الشقين، وصدق أهل السنة بالأمرين معاً، وأقروا بهما، وصار من أثبت الرؤية ونفى العلو مذبذباً بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء! وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله! وهيئات له بجواب صحيح عن بعض ذلك!

• وأما الإجماع:

قال الإمام الشافعي كما في "العلو" للذهبي (١٠٥٥/٢)، و"اجتماع الجيوش الإسلامية" لابن القيم (ص ١٦٥): «القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيت مثل سفيان الثوري ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأن الله على عرشه في سمائه». اهـ

وقال إسحاق بن راهويه كما في "اجتماع الجيوش الإسلامية" (ص ٢٢٦)، و"السنة" للخلال (٢/٢٦٠)، قال: «قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

أَسْتَوَى ﴿طه: ٥﴾ ، إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى يعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة. اهـ

وقال الذهبي في "العلو" (١١٢٨/٢) بعدما نقل كلام اسحاق هذا: «اسمع إلى هذا الإمام كيف نقل الإجماع على هذه المسألة الشريفة كما نقله في زمانه قتيبة المذكور». اهـ

قلت: يعني بـ(قتيبة) قتيبة بن سعيد حيث نقل الإجماع كما في "العلو" و"اجتماع الجيوش" (ص ٢٣١) حيث قال: «هذا قول الإئمة في الإسلام والسنة والجماعة نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه كما قال الرحمن: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿طه: ٥﴾».

ثم قال الذهبي بعده: فهذا قتيبة في إمامته وصدقه قد نقل الإجماع في المسألة وقد لقي مالكا والليث وحماد بن زيد وازدحم الحفاظ على بابه. اهـ

وقال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، وأبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصرًا وشامًا ويمناً فكان مذهبهم الإيمان فالإيمان قول وعمل ويزيد وينقص... وأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف. اهـ

وقال عبد الله بن سعيد الدارمي كما في "نقضه على المريسي" (٣٤٠/١): وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه وسماواته. اهـ

وقال الحافظ أبو عمر أحمد بن محمد المعافري الأندلسي كما في "العلو" للذهبي (١٣١٥/٢)، و"اجتماع الجيوش" (ص ١٤٢): أجمع المسلمون من أهل السنة على

أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن أنه علمه وأن الله تعالى فوق السموات بذاته مستوٍ على عرشه كيف شاء. اهـ

وقال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي المغربي في "التمهيد" (١٣٨/٧-١٣٩): أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧] هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج به. اهـ

وقال في (١٥٧/١٤-١٥٨): والذي عليه جماعة أهل السنة أنه لم يزل بصفاته وأسمائه ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء وهو على العرش استوى. اهـ

وقال أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي كما في "الأسماء والصفات" للبيهقي (٣٠٤/٢)، و"اجتماع الجيوش الإسلامية" (ص ١٣٥): كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق العرش ونؤمن بما وردت به السنة من صفات الله عز وجل. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٢٩٧/٢): فالسلف والأئمة يقولون: إن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة. اهـ

وقال في (٣٩٧/١٦): فالآيات الكثيرة والأحاديث الكثيرة وإجماع السلف أن الله فوق العرش. اهـ

• وأما الدليل الفطري:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "درء تعارض العقل والنقل" (٥/٧): علو الخالق على المخلوق وأنه فوق العالم أمر مستقر في فطر العباد معلوم لهم بالضرورة كما اتفقت عليه جميع الأمم إقراراً بذلك وتصديقاً من غير أن يتواطؤوا على ذلك ويتشاوروا وهم يخبرون عن أنفسهم أنهم يجدون التصديق بذلك في فطرهم...

وقال: هذا أمر متفق عليه بين الأمم التي لم يتغير فطرتها ولم يحصل لهم ذلك بتواطىء واتفاق ولهذا يوجد في فطرة الأعراب والعجائز والصبيان من المسلمين واليهود والنصارى والمشركين...

وقال: إجماع المسلمين حجة فكيف بإجماع جميع الأمم من المسلمين واليهود والنصارى والمشركين وغيرهم فإنه إذا كان إجماع المسلمين وحده لا يكون إلا حقاً فإجماع جميع الخلق الذين منهم المسلمون أولى بأن لا يكون إلا حقاً فمن اعتقد أن الأمم المختلفة الملل والأجناس إذا اجتمعت على مثل هذا الأمر من غير أن يجمعها على هذا الأمر جامع خاص تكون مخطئة فلا ريب أنه مع كونه قد قرح في إجماع المسلمين مصاب في عقله كما هو مصاب في دينه حيث جوز أن يكون الأولون والآخرون مخطئين وهو المصيب. اهـ

انظر "نقض التأسيس" (٢/٤٤٧-٤٨٤).

وقال الدارمي في "نقضه على المريسي" (١/٢٢٧): وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء وحده وما خالف في ذلك إلا المريسي

الضال وأصحابه حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك؛ إذ حزب الصبي شيء يرفع يديه إلى ربه يدعوه في السماء دون ما سواها. اهـ

وقال في "الرد على الجهمية" (ص ٣٥، ٣٧): « ثم إجماع من الأولين والآخرين العالمين منهم والجاهلين أن كل واحد ممن مضى ومن غبر إذا استغاث الله تعالى أو دعاه أو سألَه يمد يديه وبصره إلى السماء يدعوه منها ولم يكونوا يدعوه من أسفل منهم من تحت الأرض ولا من أمامهم ولا من خلفهم ولا عن أيانهم ولا عن شمائلهم إلا من فوق السماء لمعرفة أنهم فوقهم حتى اجتمعت الكلمة من المصلين في سجودهم سبحان ربي الأعلى لا ترى أحدًا يقول سبحان ربي الأسفل». اهـ

وقال ابن أبي شيبة في كتابه "العرش" (ص ٢٩١): وأجمع الخلق جميعًا أنهم إذا دعوا الله جميعًا رفعوا أيديهم إلى السماء فلو كان الله عز وجل في الأرض السفلى ما كانوا يرفعون أيديهم إلى السماء وهو معهم على الأرض. اهـ

وقال ابن عبد البر في "التمهيد" (١٣٧/٧): إن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أي يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد ولا ينكره عليهم مسلم. اهـ

قلت: وقد اعترض على هذا الدليل الفطري بأن قيل إنما يرفع الناس أيديهم إلى السماء حين الدعاء لكون السماء قبلة الدعاء لا لأن الله عز وجل في جهة العلو وهذا باطل من أوجه:

الأول: أن هذا القول ليس عليه دليل ولم ينقل عن أحد من السلف.

الثاني: أنه ثبت عن النبي ﷺ في غير ما حديث أنه كان يستقبل القبلة في أثناء الدعاء وهذا يدل على أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة ومن تلك الأحاديث حديث عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه في "البخاري" رقم (١٠٢٤، ١٠٢٥)، و"مسلم" (٢٠٧٠) وفيه: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَسْقِي فَتَوَجَّهَ إِلَى الْقِبْلَةِ يَدْعُو وَحَوْلَ رِدَاءَهُ».

الثالث: أن معنى القبلة: ما يتوجهه الناس بوجوههم إنما يتوجهون إلى الكعبة لا إلى السماء. انظر "شرح الطحاوية" (ص ٢٧١).

• وأما الدليل العقلي:

أن الله عز وجل لما خلق العالم إما أن يكون خلقه في ذاته سبحانه وتعالى أو خارجاً عن ذاته:

فالأول: باطل أما أولاً: فبالإتفاق، وأما ثانياً: فلأنه يلزم من ذلك أن يكون الله محلاً للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والثاني: كونه خلقه خارجاً عن ذاته يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته فيكون منفصلاً فتعينت المباينة؛ لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول. انظر "شرح الطحاوية" في الكلام على صفة العلو.

هذه الأدلة من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة والفطرة السليمة والعقل الصحيح ما يمنعكم أن تقولوا بها ولا تكلفوا أنفسكم عما لم يكلفكم الله

بالبحث عنه وهذه الحجج القاطعة والأدلة الواضحة إما أن تقولوا بها وتقرروا بمضمونها كما أَرَادَهُ اللهُ عز وجل ورسوله وإلا فلا يخلوا شأنكم من أحد أمرين:

إما أن تقولوا إن الله خلق هذا الكون وأوجده في ذاته سبحانه وتعالى إن قلتم هذا فقد كفرتم إجماعاً لأن مضمونه حلول المخلوقات والقاذورات في ذات الله عز وجل وهذا كفر إجماعاً وضحك عليكم السفهاء فضلاً عن العقلاء.

أو تقولوا أن الله عز وجل ما خلق الكون في ذاته ولا خارج ذاته لا هو داخل العالم ولا خارجه لا متصلاً به ولا منفصلاً عنه وهذا تعطيل وجود الله عز وجل وهذا كفر أيضاً وصاحبه أكفر من اليهود والنصارى لأن اليهود والنصارى أقروا بوجود الله عز وجل وعبدوا غيره وأما هذا عطل العالم عن مدبره والمخلوق عن خالقه وقد صرتم كالمستجير بالنار من الرمضاء فررتهم وهربتم من التمثيل والتشبيه فوقعتم فيما هو أشد منه وهو التعطيل.

اختاروا أحد الأمرين أحلاه مر وأهونه كفر.

• شبهات والجواب عنها:

قد حرفوا معنى الإستواء إلى الإستيلاء تحريفاً معنوياً فقالوا المقصود بالإستواء الإستيلاء أي القهر والغلبة وهذا باطل من عدة أوجه:

الوجه الأول: أن الإستواء بمعنى الإستيلاء لا يعرف في لغة العرب إجماعاً، وأما استدلالهم بقول الأخطل:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق

قال ابن القثير كما في "مختصر الصواعق" (١٢٧/٢): هذا البيت ليس من شعر العرب وقد سئل أهل اللغة عنه أنكروه غاية الإنكار ولم يجعلوه من لغة العرب وقد سئل ابن الأعرابي عنه: هل يصح استوى بمعنى استولى قال لا تعرف العرب ذلك. قال هذا وهو من أكابر أهل اللغة. اهـ

مع كون البيت مصنوعاً منسوباً إلى نصراني خبيث لا يستشهد بقوله فإنه ليس فيه حجة وكان المقصود أن بشر بن مروان لما ظهر أخوه على العراق استوى أي على سرير الملك كعادتهم ومما يدل على ذلك أن بشرًا هذا لم يكن ينازع أخاه في الملك ويغلب ويقهر، الملك لأخيه لا له وإنما قعد على سرير الملك في عادة الملوك أنهم إذا ظهروا أقعدوا بعض أقربائهم على سرير الملك.

قال ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (٣٩٧/١٦): ولو كان صحيحاً لم يكن فيه حجة فإنهم لم يقولوا استوى عمر على العراق لما فتحها ولا استوى عثمان على خراسان ولا استوى رسول الله ﷺ على اليمن وإنما قيل هذا البيت - إن صح - في بشر بن مروان لما دخل العراق واستوى على كرسي ملكها ف قيل هذا كما يقال: «جلس على سرير الملك أو تحت الملك»، ويقال: «قعد على الملك» والمرد هذا. اهـ

وقال في (٣٩٦/١٦): كون لفظ الإستواء في لغة العرب يقال على القدرة أو علو القدر ممتنع عندهم والإستعمال الموجود في الكتاب والسنة وكلام العرب يمنع هذا. اهـ

الوجه الثاني: أنه لم يأت عن أحد من السلف تفسيره بذلك ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

الوجه الثالث: أن هذا خلاف النص ولم يدل عليه دليل ويعتبر هذا صرفاً للفظ عن ظاهره بدون دليل يوجب ذلك وهذا عين التحريف الذي أنكره الله على اليهود وذمهم به.

الوجه الرابع: ليس هناك مانع شرعي من حمله على ظاهره ولا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره إلا إذا ما أمكن حمله على ظاهره.

الوجه الخامس: أن هذا نص على المقصود ولا يجوز تأول النص إذ لا يحتمل غيره، والنص إما أن يكون بأن يرد منصوفاً بلفظه في غير ما موضع ولم يرد ولو مرة باللفظ المؤول به فدل على أن اللفظ المذكور هو المراد بذاته وقد ورد في القرآن في سبع مواضع ذكر الإستواء على العرش ولم يأت في موضع بلفظ الاستيلاء فدل على أن هذا اللفظ (الإستواء) هو المراد بذاته لا غيره، وقد يكون النص إذا كان اللفظ لا يحتمل غير ذلك المعنى مثل قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ولا يجوز صرف هذا عن ظاهره لأنه نص على المقصود ولا يحتمل غيره وقد أشار إلى هذه الشروط ابن القيم في "الصواعق".

وشبهة أخرى: وقال من عطل الإستواء أنه يلزم من إثباته أن يكون الله عز وجل محتاجاً إلى عرشه وأن يكون مركباً وجسماً متحيزاً أن يكون في جهة وأن يكون له حدٌ.. إلخ.

أما قولهم: «أن يلزم منه الحاجة»، فهذا باطل قطعاً فإن الإستواء على شيء لا يلزم الإحتياج إليه مطلقاً حتى في حق المخلوق، ألا ترى أن السماء مستوية على

الأرض وليست محتاجة إليها، هذا في حق المخلوق فما بالك في حق الخالق، والله المثل الأعلى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يظن المتوهم أنه إذا وصف الله بالاستواء على العرش كان استواءً كاستواء الإنسان على الفلك فلو قدر على وجه الفرض الممتنع أنه هو مثل خلقه تعالى الله عن ذلك كان استواء مثل استواء خلقه، أما إذا كان هو ليس مماثلاً لخلقه بل عُلِمَ أنه الغني عن الخلق أنه الخالق للعرش وغيره وأن كل ما سواه مفتقر إليه وهو الغني عن كل ما سواه وهو لم يذكر إلا استواءً يخصه ولم يذكر استواءً يتناول غيره ولا يصلح له فكيف يجوز أن يُتوهم أنه إذا كان مستوياً على العرش كان محتاجاً إليه. اهـ

وأما قولهم: «يلزم كونه مركباً جسماً...»: أن هذه ألفاظ مجملة لم يرد بها الدليل إثباتاً ولا نفياً ومتضمنة لبعض الحق وبعض الباطل من أثبتها أثبت ذلك الباطل معها ومن نفاها نفى ذلك الحق معها، وقال ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (ص ١٠٧) بعدما ذكر عدة من هذه الألفاظ وغيرها: في هذه الجملة حق وباطل يظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة.

وقال في (ص ١٨٩): والواجب أن ينظر في هذا الباب - أعني باب الصفات - فما أثبتته الله ورسوله أثبتناه وما نفاه الله ورسوله نفينا والألفاظ التي يرد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي فنثبت ما أثبتته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني ونفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني وأما الألفاظ التي لم يرد لا نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها فإن كان معنى صحيحاً قبل ولكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا

عند الحاجة مع قرائن تبين المراد والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها ونحو ذلك. اهـ

قلت: فعلى هذا فمن أراد بنفي الجهة نفي كون الله عز وجل في جهة العلو مستويًا على عرشه بائنًا من مخلوقاته فهذا النفي باطل وأما إن أراد نفي جهة موجودة بحيث تحيط به المخلوقات وهذا المعنى باطل ونفيه هو الصواب ويجتنب هذا اللفظ لما فيه من الإيهام.

وإن أراد بالحيز معناه وجوديًا بحيث يكون الله عز وجل بشيء موجود تحيط به المخلوقات وهذا المعنى باطل ونفيه هو الحق لأن الله لا تحيط به شيء من مخلوقاته، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ويجتنب هذا اللفظ وإن أريد بنفي الحيز أن الله ليس مبينًا للعالم ولا فوقه ولا يجوز الإشارة إليه حسًا ونحو ذلك فهذا نفي باطل.

وهكذا إن أريد بالتركيب والجسم نفي قيام الصفات بالله عز وجل كقيام الصفات بالموصوف من غير تمثيل ولا تحريف فهذا النفي باطل وإن أريد بهما أن يكون مركبًا من الأجزاء أو يكون مركبًا يقبل الانفصال فهذا نفي صحيح وإثباته كفر صراح، والواجب اجتناب هذا اللفظ بالألفاظ الشرعية.

والخلاصة: أن مذهب السلف في الصفات هو الإثبات إذا كانت ثابتة بالكتاب والسنة والنفي - مع إثبات كمال ضدها - إذا كانت منفية بالكتاب والسنة وأما الألفاظ المجملة بالنسبة لذلك اللفظ يتوقف فيه لا ينفي ولا يثبت وبالنسبة

للمعنى يفصل إذا كان معنى لائقاً بالله عز وجل يثبت ذلك المعنى، وإن كان معنى باطلاً ينفي المعنى الباطل.

وكيف يتسنى لأحد يدعي الإسلام بعد هذه الأدلة الواضحة الجلية كالشمس يذهب فيتأولها وينفي استواء الله عز وجل على عرشه، ويقول الحبشي كما في "إظهار العقيدة السنية" (ص ٣٧) بعد ما ذكر تأويل المعتزلة لصفة الإستواء بأنه الإستيلاء، قال: «هذا أحسن التأويلات وأقربها إلى الحق وأشرفها».

ويقول: «عقيدة الأشعري هي عقيدة أهل السنة والجماعة - يعني عقيدته المشهورة في نفي الصفات - ، ومن لم تدخل الله له نوراً فما له من نور».

وأما تكفيركم لمن قال: الرحمن على العرش استوى استواءً يليق بجلاله، مستوى على عرشه فوق عباده كما أخبر الله عن نفسه، وأخبر عنه أعلم الخلق بما يجب له ويمتنع عليه، قد قلبتم ظهر المجن ورمىتم غيركم بما أنتم أولى به، من آمن بجميع ما أخبر الله به عن نفسه وأخبر عنه رسوله ﷺ أهدى أم من ردّ فوق ألف دليل من الكتاب والسنة تحريفاً وتعطياً وتكذيباً فأى الفريقين أحق بالإيمان إن كنتم تعلمون.

وقال ابن تيمية رحمه الله في "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" (٣١٨/٤): والأنبياء كلهم متطابقون على أنه في العلو وفي القرآن والسنة ما يقارب ألف دليل على ذلك وفي كلام الأنبياء والمتقدمين ما لا يحصى. اهـ

وقال في "التسعينية" (١/٢٢٠-٢٢١): إذا بينوا مقصودهم من أنه ليس فوق العرش رب ولا فوق العالم موجود فضلاً عن أن يكون فوقه واجب الوجود

فيقال لهم هذا معلوم الفساد بالضرورة بالفطرة العقلية وبالأدلة النظرية العقلية وبالضرورة الإيمانية السمعية الشرعية وبالنقول المتواترة عن خير البرية وبدلالة القرآن على ذلك من آية تبلغ مئين وبالأحاديث المتلقاه بالقبول من علماء الأئمة في جميع القرون وبما اتفق عليه سلف الأمة من أئمتها ومما اتفقت عليه الأمم بجبلتها وفطرتها وما يذكر في خلاف ذلك من الشبه التي يقال إنها براهين عقلية أو دلائل سمعية فقد تكلمنا عليها بالإستقصاء حتى تبين أنها من القول الهراء فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. اهـ

وقال في "الفتاوى الكبرى" (٤٦٨/٦): وأهل السنة وسلف الأمة متفقون على أن من تأول استوى باستولى أو بمعنى آخر ينبغي أن يكون فوق سمواته فهو جهمي ضال. اهـ

وقد بين الإمام ابن القيم رحمته الله استواء الله على عرشه بائناً من خلقه ورد على المعطلة وفند أقوالهم من اثنين وأربعين وجهاً كما في "مختصر الصواعق" (١٢٦/٢-١٥٢) وقد أفرد المسألة في التصنيف لأهميتها جمع من الأئمة كابن أبي شيبه في كتاب "العرش"، والذهبي في "علو العلي الغفور" وغيرهما.



صفة الكلام لله عز وجل

الكلام المعروف في لسان العرب هو: النطق المفهم المسوع المشتمل على الحروف والأصوات، ولا يعقل كلام بغير حرف ولا صوت عند الإطلاق.

وأما عند التقييد قد يطلق على الكلام النفساني كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨].

وأما عند الإطلاق فلا يطلق إلى على ما كان حرفاً وصوتاً لذا قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسَّوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلِّمْ» (١) وفي رواية البخاري « مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا » ولم يعتبره النبي ﷺ كلاماً مع وجود حديث النفس حتى تتكلم وتنطق به.

وصفة الكلام ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة. والكلام باعتبار أصله ونوعه ذاتي أزلي لم يزل الله عز وجل ولا يزال متصفاً به وباعتبار آحاده هو متجدد في ذات الله عز وجل متى شاء أن يتكلم تكلم كما قال الإمام أحمد: ولم يزل الله متكلماً إذا شاء وكان تكليم الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام لما جاء لميقاته في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وكذلك في قول الله عز وجل: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢]، وكان بعد إتيانه وادي الطور الأيمن لا قبل

(١) رواه "البخاري" برقم (٥٢٦٩، ٢٥٢٨)، و"مسلم" برقم (٣٣١).

كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَّ إِنْتَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠]، فتبين بهذا الفرق بين الصفة الذاتية والفعلية وعدم الخلط بين المسائل أمر مطلوب كما يأتي تقريره إن شاء الله تعالى.

• عقيدة الأحباش في صفة الكلام :

الكلام عند الأحباش هو معنى واحد قائم بالنفس لازم بالذات لزوم الحياة والعلم ليس بحرف ولا صوت ولا يتعلق بقدرته ومشيئته. هذا ما ذهب إليه الحبشي وأتباعه كما في ”إظهار العقيدة السنية“ (ص ٥٩١) وهو مذهب جمهور الأشاعرة والماتريدية ومذهبهم باطل بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

• أما الكتاب:

قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ ﴾ [الفتح: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧].

قال المهراس: وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَادَى مُوسَى وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا، وَنَاجَاهُ حَقِيقَةً مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَبِلَا وَاسِطَةٍ مَلَكٍ؛ فَهِيَ تَرُدُّ عَلَى الْأَشَاعِرَةِ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْكَلَامَ مَعْنَى قَائِمًا بِالنَّفْسِ؛ بِلَا حَرْفٍ، وَلَا صَوْتٍ! فَيَقَالُ لَهُمْ: كَيْفَ سَمِعَ مُوسَى هَذَا الْكَلَامَ النَّفْسِيِّ؟ فَإِنْ قَالُوا: أَلْقَى اللَّهُ فِي قَلْبِهِ عِلْمًا ضَرُورِيًّا بِالْمَعَانِي الَّتِي يُرِيدُ أَنْ يُكَلِّمَهُ بِهَا؛ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ خُصُوصِيَّةٌ لِمُوسَى فِي ذَلِكَ.

وَإِنْ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كَلَامًا فِي الشَّجَرَةِ أَوْ فِي الْهَوَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ لَزِمَ أَنْ تَكُونَ الشَّجَرَةُ هِيَ الَّتِي قَالَتْ لِمُوسَى: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ [طه: ١٢].

• وَأَمَّا السَّنَةُ :

في "صحيح البخاري" رقم (٣٢٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيَحِبُّهُ».

وفي "صحيح البخاري" برقم (٧٤٦٨)، و"مسلم" في تعاقب الملائكة وفيه: «فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي».

وفي حديث أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ» رواه البخاري برقم (٧٥٠٤)، وجاء أيضًا عن عبادة وعائشة رضي الله عنهما.

وقد عقد الإمام البخاري في "صحيحه" عدة أبواب في إثبات صفة الكلام لله عز وجل ومنها:

- (باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴿[سبأ: ٢٣]، ولم يقل ماذا خلق ربكم).
 - و (باب كلام الرب تعالى مع جبريل ونداء الملائكة).
 - و (باب قول الله تعالى: ﴿أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦]).
 - و (باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]).
 - و (باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم).
 - و (باب ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]).
 - و (باب كلام الرب مع أهل الجنة).
- وذكر في مجموعها ٣٩ حديثاً وعدة آيات فراجعها.

• وأما الإجماع :

قال ابن تيمية في "الفتاوى" (٢٨٤/٩): بل نقول إنه يتكلم بمشيئته قدرته كلاماً قائماً بذاته كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة. اهـ

وقال في (٥٣٩/٥): وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به غير مخلوق. اهـ

وأما قولهم: «كلام قائم بالنفس» سيأتي إن شاء الله مناقشته بعد قليل.

القرآن عند الأحباش

بناءً على إنكارهم كلام الله الحرفي والصوتي قالوا في القرآن: كلام قائم بالنفس ما تكلم الله به بحرف ولا صوت، وأن هذا المتلو المكتوب المحفوظ هو عبارة عن كلام الله وأن جبريل هو الذي أنشأ عبارة القرآن وقولهم هذا باطل بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

أما قولهم: «هذا كلام نفساني»: باطل لا تعرف العرب كلاماً إلا ما كان نطقاً مفهوماً عند الإطلاق قال الله عز وجل: ﴿وَأَخَذَ قَوْمٌ مِّمَّنْ بَعْدَهُ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمَ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]. الشاهد من الآية الأولى أن الله نفى عنه التكليم لهم مع كونه عنده كلام نفسي وفي الآية الثانية اعتبر الكلام الذي يخرج من أفواههم وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمَ». وهو نص في إخراج حديث النفس من مطلق الكلام.

قال ابن تيمية رحمته الله في «مجموع الفتاوى» (٥٢٦/٦): وإنما الذي اتفقوا عليه أن القرآن كلام الله غير مخلوق وهو كلام الله حيث تلي وحيث كتب وهو قرآن

واحد وكلام واحد وإن تنوعت الصور التي يتلى فيها ويكتب من أصوات العباد ومدادهم، الكلام كلام من قاله مبتدئاً لا كلام من بلغه مؤدياً. اهـ

وأما قولهم: «أنه معنى واحد»: وهذا أبطل من الذي قبله؛ لأن مضمونه أن قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، هو عين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣٢]، لا يخفى ما فيه من بعد وتكلف.

وقال ابن تيمية رحمه الله في «الجواب الصحيح» (٣٣٩/٤ - ٣٤٠): ولم يقل أحد من السلف إن الله تكلم بغير قدرته ومشيئته ولا أنه معنى واحد قائم بالذات ولا أنه تكلم بالقرآن أو التوراة أو الإنجيل في الأزل بحرف وصوت قديم فحدث بعد ذلك طائفة فقالوا إنه قديم. ثم منهم من قال القديم هو معنى واحد قائم بالذات هو معنى جميع كلام الله. وذلك المعنى إن عبر عنه بالعبرية كان توراة وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا والأمر والنهي والخبر صفات له لا أنواع له. ومن هؤلاء من قال بل هو قديم وهو حروف أو حروف وأصوات أزلية قديمة وأنها هي التوراة والإنجيل والقرآن. فقال الناس لهؤلاء خالفتم الشرع والعقل في قولكم إنه قديم وابتدعتم بدعة لم يسبقكم إليها أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وفررتهم من محذور إلى محذور كالمستجير من الرمضاء بالنار. اهـ

وقال ابن أبي العز رحمه الله في «شرح الطحاوية» (ص ١٤٧): وَيُقَالُ لِمَنْ قَالَ إِنَّهُ مَعْنَى وَاحِدٌ: هَلْ سَمِعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمِيعَ الْمَعْنَى أَوْ بَعْضَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: سَمِعَهُ كُلَّهُ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ جَمِيعَ كَلَامِ اللَّهِ وَفَسَادُ هَذَا ظَاهِرٌ. وَإِنْ قَالَ: بَعْضَهُ، فَقَدْ قَالَ يَتَبَعَضُ. وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ كَلَّمَهُ اللَّهُ أَوْ أُنْزِلَ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِ. وَلَمَّا قَالَ تَعَالَى

لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. وَلَمَّا قَالَ لَهُمْ. ﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ: هَلْ هَذَا جَمِيعُ كَلَامِهِ أَوْ بَعْضُهُ؟ فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ جَمِيعُهُ، فَهَذَا مُكَابَرَةٌ، وَإِنْ قَالَ: بَعْضُهُ، فَقَدْ اعْتَرَفَ بِتَعَدُّدِهِ. اهـ

وقال ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى الكبرى" (٥٩٧/٦): إنه ما زال أئمة الطوائف: طوائف الفقهاء وأهل الحديث وأهل الكلام يقولون: إن هذا القول الذي قاله ابن كلاب والأشعري في القرآن والكلام من أنه معنى قائم بالذات وأن الحروف ليست من الكلام قول مبتدع مخالف لأقوال سلف الأمة وأئمتها مسبق بالإجماع على خلافه. اهـ

وقال في "الصفدية" (٢٤٩/١): هذا قول يخالف الكتاب والسنة والإجماع. اهـ

❖ بل لازم قولهم هو القول بخلق القرآن فالإليك البيان:

قال ابن أبي العزّ رحمه الله في "شرح الطحاوية" (ص ١٤٩-١٥٠): وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَعْنَى وَاحِدٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ تَعَالَى وَإِنَّ الْمُتَلَوَّ الْمُحْفُوظَ الْمَكْتُوبَ الْمَسْمُوعَ مِنَ الْقَارِئِ حِكَايَةُ كَلَامِ اللَّهِ وَهُوَ مَخْلُوقٌ، فَقَدْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ فِي الْمَعْنَى وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨]. أَفْتَرَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُشِيرُ إِلَى مَا فِي نَفْسِهِ أَوْ إِلَى الْمُتَلَوِّ الْمَسْمُوعِ؟ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِشَارَةَ إِنَّمَا هِيَ إِلَى هَذَا الْمُتَلَوِّ الْمَسْمُوعِ، إِذْ مَا فِي ذَاتِ اللَّهِ غَيْرُ مُشَارٍ إِلَيْهِ، وَلَا مُنْزَلٍ وَلَا مَتَلَوٍّ وَلَا مَسْمُوعٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨] أَفْتَرَاهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِ مَا فِي

نَفْسِي مِمَّا لَمْ يَسْمَعُوهُ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، وَمَا فِي نَفْسِ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ لَا حِيلَةَ إِلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَلَا إِلَى الْوُقُوفِ عَلَيْهِ.

فَإِنْ قَالُوا: إِنَّمَا أَشَارَ إِلَى حِكَايَةِ مَا فِي نَفْسِهِ وَعِبَارَتِهِ وَهُوَ الْمُتَلَوُّ الْمُكْتُوبُ الْمُسْمُوعُ، فَأَمَّا أَنْ يُشِيرَ إِلَى ذَاتِهِ فَلَا - فَهَذَا صَرِيحُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، بَلْ هُمْ فِي ذَلِكَ أَكْفَرُ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ، فَإِنَّ حِكَايَةَ الشَّيْءِ بِمِثْلِهِ وَشَبْهِهِ. وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ مُحْكِيَّةٌ، وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ التَّلَاوَةُ حِكَايَةً لَكَانَ النَّاسُ قَدْ أَتَوْا بِمِثْلِ كَلَامِ اللَّهِ، فَأَيْنَ عَجَزُهُمْ؟! وَيَكُونُ التَّالِي - فِي زَعْمِهِمْ - قَدْ حَكَى بِصَوْتٍ وَحَرْفٍ مَا لَيْسَ بِصَوْتٍ وَحَرْفٍ. اهـ

وأما استدلالهم بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿١٩﴾ [التكوير: ١٩] على كون المنشيء للقرآن جبريل عليه السلام استدلال فاسد أيضًا فإن الإضافة هنا باعتبار أنه مرسل به ومبلغه عن الله بأمره وإلا لصح أن يقال أن المنشيء للقرآن هو محمد ﷺ وقد قال الله تعالى في حقه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَا نُوْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ [الحاقة: ٤٠ - ٤٢]، فليكن المنشيء للقرآن - عندكم - محمد ﷺ أيضًا لأن السياق واضح في كون النبي ﷺ هو المراد بالآية ويلزمكم أن تقولوا أن المنشيء للقرآن جبريل ومحمد ﷺ وإلا فرقتم بين المتماثلين.

وإضافته إلى جبريل باعتبار أنه مبلغه والمرسل به لا ينفي أن يكون الله عز وجل تكلم به حقيقة ألا ترى إلى قول الله عز وجل ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقوله عز وجل: ﴿قُلْ يَنفَعُكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾

تَوَفَّتهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿ [الأنعام: ٦١]، والإضافة في جميع هذه الحالات إضافات حقيقية باعتبارات مختلفة وأما إضافته إلى الله عز وجل باعتبار أنه هو الأمر بذلك وصفة التوفي ثابتة له كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وأما إضافته إلى ملك الموت باعتبار هو المباشر له وإضافته إلى الرسل باعتبار هم الذين يتولون شأن الروح بعد ملك الموت كما في حديث البراء بن عازب في "مسند أحمد" وهو في "الصحيح المسند" وإضافة التوفي إلى الرسل وملك الموت لم تنافي ثبوت تلك الصفة لله عز وجل.

إذا كان مجرد الإضافة يفيد الإنشاء به فليكن المتوفي هو ملك الموت والرسل دون الله ولا يخفى ما فيه من بطلان وقد رددتم مدلولات القرآن.

والواجب الأخذ بالأدلة من جميع جوانبها قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وما أشكل فهمه واحتاج في معرفة معناه إلى غيره رد إلى غيره لبينه ويفسره وهذا شأن الراسخين في العلم لا ضرب الأدلة بعضها ببعض واتباع ما تشابه منه وهذا شأن المفتونين الزائغين المنحرفين كما قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، وفي "صحيح البخاري" (٤٥٤٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ

مَنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٤٤﴾ قال: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاخَذَرُوهُمْ». الحديث

وكذلك استدللهم على كون الكلام كلامًا نفسانيًا بقول الأخطل:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

قال ابن أبي العزيم رحمه الله في "شرح الطحاوية": فَاسْتِدْلَالٌ فَاسِدٌ. وَلَوْ اسْتَدَلَّ مُسْتَدِلٌّ بِحَدِيثٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ لَقَالُوا هَذَا خَبَرٌ وَاحِدٌ! وَيَكُونُ مِمَّا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَصْدِيقِهِ وَتَلْقِيهِ بِالْقَبُولِ وَالْعَمَلِ بِهِ! فَكَيْفَ وَهَذَا الْبَيِّنُ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ مَوْضُوعٌ مَّنْسُوبٌ إِلَى الْأَخْطَلِ، وَلَيْسَ هُوَ فِي دِيَوَانِهِ؟! وَقِيلَ إِنَّمَا قَالَ: «إِنَّ الْبَيَانَ لَفِي الْفُؤَادِ...» وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى الصَّحَّةِ، وَعَلَى تَقْدِيرِ صَحَّتِهِ عَنْهُ فَلَا يَجُوزُ الْإِسْتِدْلَالُ بِهِ، فَإِنَّ النَّصَارَى قَدْ ضَلُّوا فِي مَعْنَى الْكَلَامِ، وَزَعَمُوا أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسُ كَلِمَةِ اللَّهِ وَاتَّخَذَ اللَّاهُوتُ بِالنَّاسُوتِ! أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِلَهِ بِشَيْءٍ مِنَ النَّاسِ! أَفَيُسْتَدَلُّ بِقَوْلِ نَصْرَانٍ قَدْ ضَلَّ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ عَلَى مَعْنَى الْكَلَامِ، وَيُتْرَكُ مَا يُعْلَمُ مِنْ مَعْنَى الْكَلَامِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ؟! وَأَيْضًا: فَمَعْنَاهُ غَيْرُ صَحِيحٍ، إِذْ لَا زِمُّهُ أَنْ الْأَخْرَسَ يُسَمَّى مُتَكَلِّمًا لِقِيَامِ الْكَلَامِ بِقَلْبِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ وَلَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ. اهـ

وأما قولهم أنه: «ليس بحرف ولا صوت» فهذا باطل أيضًا مردود بالكتاب والسنة والإجماع.

• أما الكتاب:

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَى﴾ [طه: ١١].

والنداء: هو الكلام والمناداة بصوت مرتفع، والمناجاة هو الكلام مع الآخر بصوت منخفض والمناداة والمناجاة صفتان ثابتتان لله عز وجل كما في الآيات المذكورة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في "المجموع" (٦/٥٣١): والنداء في لغة العرب هو صوت رفيع لا يطلق النداء على ما ليس بصوت لا حقيقة ولا مجازاً. اهـ

ولا يستطيع أن يقول المعطل أن النداء هنا نداء الملائكة ولا أحد غير الله لأنه يكون لازم كلامه أن الملك هو القائل: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢]، فهذا ظاهر البطلان.

• وأما السنة:

قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَيْتَكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ» الحديث. (١)

وتقدم حديث أبي هريرة: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ» الحديث.

وقال الإمام البخاري في "خلق أفعال العباد" (ص ٩٨-٩٩): وإن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله عز وجل ذكره.

(١) رواه "البخاري" في كتاب التوحيد من "صحيحه" وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال أبو عبد الله - يعني نفسه - : وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته ، فإذا نادى الملائكة لم يصعقوا ، وقال عز وجل : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: ٢٢] ، فليس لصفة الله ند، ولا مثل، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين، حدثنا به داود بن شبيب، ثنا همام، ثنا القاسم بن عبد الواحد، حدثني عبد الله بن محمد بن عقيل، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَهُمْ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَنَيْسٍ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيَنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ »^(١).

• وَأَمَّا الْإِجْمَاع :

وقال الإمام الأجرى في "الشرعة" (١/٤٨٩): اعلموا رحمنا الله وإياكم أن قول المسلمين الذين لم يزغ قلوبهم عن الحق، ووفقوا للرشاد قديما وحديثا أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من علم الله، وعلم الله لا يكون مخلوقا، تعالى الله عن ذلك دل على ذلك القرآن والسنة، وقول الصحابة رضي الله عنهم وقول أئمة المسلمين لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث، والجهمي عند العلماء كافر. اهـ

(١) رواه أحمد في "المسند" (١٥٦١) والبخاري أيضًا في "الأدب المفرد"، (٩٧٠)، والخطيب في "رحلة أصحاب الحديث"، واستدل به البخاري في "خلق أفعال العباد" وعلقه بصيغة الجزم في صحيحه في كتاب العلم في باب الخروج في طلب العلم وقال: ورحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس مسيرة شهر، يعني هذا الحديث، وهو حديث حسن بمجموع طرقه.

وقال ابن بطّة في "الإبانة" (٢١٤/٣): وكلما تقوله وتنتحله فقد أكذبهم الله عز وجل في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ، وفي أقوال الصحابة، وإجماع المسلمين في السابقين والغابرين؛ لأن الله لم يزل عليهما سميعا بصيرا متكلمًا، تاما بصفاته العليا وأسمائه الحسنى، قبل كون الكون، وقبل خلق الأشياء، لا يدفع ذلك ولا ينكره إلا الضال الجحود الجهمي المكذب بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ. وسنذكر من كتاب الله وسنة نبيه وإجماع المسلمين ما دل على كفر الجهمي الخبيث وكذبه، ما إذا سمعه المؤمن العاقل العالم ازداد به بصيرة وقوة وهداية، وإن سمعه من قد داخله بعض الزيغ والريب، وكان لله فيه حاجة وأحب خلاصه وهدايته نجاه ووقاه، وإن كان ممن قد كتب عليه الشقوة زاده ذلك عتوا وكفرا وطغيانا. ونستوقف الله لصواب القول وصالح العمل.

وقال الإمام عبد الوهاب بن الحنبلي في "الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة" (٤٨٠-٤٨١): ... ثم ذكروا العبارة والحكاية ما جاء به شرع ولا نطق به سلف من الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين فكيف يحل لمسلم أن يقول مثل هذا القول... قد خالفت الأشاعرة ببدعتهم نص الكتاب وصريح السنة وأدلة العقول وإجماع أهل الملل من اليهود والنصارى والزيادة على كفار قريش في تكذيب القرآن. اهـ

وقال في (٥١١/٢): اعلم يا أخي أن من جملة تمويههم وخدعهم قول الجاهل منهم: فإذا قلت: إن كلام الله حرف وصوت فقد شبهتهم الباري بكم فتحقق اسم التشبيه فيكم. فيقال لهم: التشبيه بكم أليق وأنتم إليه أسبق لأنكم قلت: إن الكلام حرف وصوت ما قام بالنفس، والحرف والصوت عبارته، ووصفتم كلام

الله بأنه قائم في النفس فشبهتم الصفة بالصفة وخرقتم إجماع المسلمين بإثبات صفة لم تثبت من كتاب ولا من سنة. اهـ

وقال في (٥١٥/٢): ثم فراركم من الحرف والصوت لأنه لا يظهر إلا من لسان وأدوات وحلق وهذا لازم لكم في العنى القائم بالنفس لأنه لا يكون إلا في قلب أو دماغ وعقل وآلة فإن أثبتتم هذه الصفة الخارجة عن الكتاب والسنة واللغة وقلتم: ليس كمثله شيء، فلم تنكروا على من أثبت صفة نطق بها الكتاب والسنة وإجماع أهل اللغة أنه لا كلام إلا بحرف وصوت. اهـ

وقال في (٦٠١/٢): ... ومن ذلك أيضًا أنه لو كان الكلام معنى قائمًا بالنفس في صفتنا وصفة الله عز وجل لكان في ذلك خرق إجماع أهل اللغة والعلماء والعقلاء لأن الأخرس لا يسمى متكلمًا وكذلك الساكت والطفل والصغير. اهـ
انظر هذا الكلام النفيس في "المسائل العقدية" (ص ٤٦٧-٤٦٨).

وتبين مما تقدم أن الحق الذي لا مناص منه ولا فرار أن القرآن كلام الله عز وجل حقيقة وأن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولا تلزم منه اللوازم الباطلة كثبوت الشفة واللسان... إلخ لأن صفات الله عز وجل لا تائق به لا تماثل صفات المخلوقين ولا يماثلها صفات المخلوق وهذه اللوازم ليست لازمة في حق المخلوق بل ثبت أن الطعام كان يتكلم في عهد رسول الله وهو يؤكل وسبح الحصا عند رسول الله ﷺ وكان الحجر يسلم عليه ولم تكن لهم هذه الجوارح وكذلك تتكلم جلود الإنسان وجوارحه يوم القيامة ولم تكن لهم هذه الجوارح التي زعموها أنها لازمة ولكن كما قالت الجلود ﴿أَطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ

شئٌ ﴿ [فصلت: ٢١] إذا كان في حق المخلوق لا يلزم من التكلم ثبوت هذه الأدوات فكيف بالباري الذي ليس كمثله شيء ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ [النحل: ٦٠].



قيام الصفات الفعلية بذات الله عز وجل

اعلم وفقنا الله وإياك أن الصفات باعتبار قيامها بذات الله عز وجل وأفعاله تنقسم إلى قسمين:

الأول: صفات ذاتية، وهي التي لم يزل الله عز وجل ولا يزال متصفًا بها، ولا تنفك عن الذات الإلهية كالعلم والقدرة والحياة والوجه واليدين.

الثاني: الصفات الفعلية الاختيارية، وهي الصفات المتعلقة بمشيئة الله وإرادته وقدرته إذا شاء الرب عز وجل أن يفعلها متى شاء وكيف شاء في أي وقت فعلها وإن شاء لم يفعلها.

قال ابن تيمية رحمه الله في "مجموع الفتاوى" (٢١٧/٦): وهي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته مثلاً كلامه وسمعه وبصره وإرادته ومحبه ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه ومثل خلقه وإحسانه وعدله ومثل استوائه ومجيئه وإتيانه ونزوله ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة. اهـ

• الصفات الفعلية عند الأحباش:

وقد خلط الأحباش في الصفات الفعلية وأنكروا قيامها بذات الله عز وجل وقال الحبشي في "الدليل القويم" (ص ٨٢): وأما العين واليد والغضب والرضا ونحو ذلك فمحمول على أنه صفة أزلية. اهـ

وقال في معنى حديث: «ضحك الله الليلة»: أي رضي، ليس كضحك البشر.

وقال في "إظهار العقيدة السنية": أنه يستحيل على الذات القديمة الإتيان بصفات جديدة. اهـ

وقال بعض الأحباش كما في "نشرة المشاريع" (ص ٦-٧): أن المحدث محدث بصفاته وأن القديم قديم بصفاته. انظر "الموسوعة" (١/٥٧٨-٥٨٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله في "درء تعارض العقل والنقل" (٢/١٨-١٩):
وأما مسألة قيام الأفعال الاختيارية به فإن ابن كلاب والاشعري وغيرهما ينفونها
وعلى ذلك بنو قولهم في مسألة القرآن وبسبب ذلك وغيره تكلم الناس فيهم في
هذا الباب بما هو معروف في كتب أهل العلم ونسبوا إلى البدعة وبقايا بعض
الاعتزال فيهم.

وقال في (٢/٢٠): وكلام السلف والأئمة من نقل مذهبهم في هذا الأصل
كثير يوجد في كتب التفسير والأصول. اهـ

وقال في (٢/٢٣): وروى أبو بكر الأثرم عن الفضيل بن عياض قال: ليس
لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف لأن الله وصف فأبلغ فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾
﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ [الإخلاص: ١-٢] فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه. ومثل هذا
النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع كما شاء أن ينزل وكما شاء أن
يضحك فليس لنا أن نتوهم أن ينزل عن مكانه كيف وكيف وإذا قال لك الجهمي
أنا كفرت برب ينزل فقل أنت أنا أو من برب يفعل ما يشاء. اهـ

ثم قال: وقد ذكر هذا الكلام الأخير عن الفضيل بن عياض البخاري في كتاب "خلق أفعال العباد" هو وغيره من أئمة السنة وتلقوه بالقبول. اهـ

وقال في (٢٢/٢-٢٣): وقال حرب بن إسماعيل الكرماني في كتابه المصنف في مسائل أحمد وإسحاق مع ما ذكر فيها من الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم قال: باب القول في المذهب: هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر المعروفين بها المقتدى بهم فيها وأدركت من علماء العراق والحجاز والشام عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل السنة ومنهج الحق وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وبقي بن مخلد وعبد الله ابن الزبير الحميدي وسعيد ابن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم. وذكر الكلام في الإيثار والقدر والوعيد والإمامة وما أخبر به الرسول ﷺ من أشرار الساعة وأمر البرزخ وغير ذلك... إلى أن قال: وهو سبحانه بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان ولله عرش وللعرش حملة يحملونه وله حد الله أعلم بحده -والله تعالى على عرشه عز ذكره وتعالى جده ولا إله غيره والله تعالى سميع لا يشك بصير لا يرتاب عليم لا يجهل جواد لا يبخل حلیم لا يعجل حفيظ لا ينسى يقظان لا يسهو رقيب لا يغفل يتكلم ويتحرك ويسمع ويبصر وينظر ويقبض ويسقط ويفرح ويحب ويكره ويغض ويسخط ويغضب ويرحم ويعفو ويغفر ويعطي ويمنع ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وكما شاء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. إلى أن قال: ولم يزل الله متكلمًا عالمًا فتبارك الله أحسن الخالقين. اهـ

وأما قولكم: «مستحيل في الذات القديمة أن تتصف بالصفات الحادثة»:

نقول: ما مرادكم بالحادثة، إذا كان مرادكم حادثة أي مخلوقة أو اتصف الله بها بعد عدم قدرته عليها هذا كله باطل ولا قال أهل السنة قديماً ولا حديثاً بهذا.

وإن أردتم بالحادثة تجدد الصفات الفعلية في ذات الله عز وجل مع اتصافه بها منذ الأزل وأن هذا مستحيل في ذات الله عز وجل هذه دعوة باطلة وصاحبها محتاج إلى استدلال عليها بل هي خلاف المأثور عن الله ورسوله وصحابته الكرام وسلف الأمة، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، وقال الله عز وجل: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، وقال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥].

وقال الإمام البخاري رحمه الله في كتاب التوحيد من "صحيحه":

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، وَ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]، وَأَنَّ حَدَثَهُ لَا يُشَبِّهُ حَدَثَ الْمَخْلُوقِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّ اللَّهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ وَإِنَّ مِمَّا أَحْدَثَ أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ.

(٧٥٢٢) - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ وَرْدَانَ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ كُتُبِهِمْ وَعِنْدَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ أَقْرَبُ الْكُتُبِ عَهْدًا بِاللَّهِ تَقْرَءُونَهُ مُحْضًا لَمْ يَشِبْ.

وفي الرواية الأخرى: كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ صلوات الله وسلاماته عليه أَخَذْتُ الْأَخْبَارَ بِاللَّهِ مُحْضًا لَمْ يَشِبْ.

وقال ابن تيمية في "الفتاوى" (٥٣٦/٥) فأما كونه سبحانه وتعالى يتكلم كلمات لا نهاية لها ويتكلم بمشيئته قدرته فهذا هو الذي يدل عليه صحيح المنقول وصریح المعقول وهو مذهب سلف الأمة وأئمتها. اهـ

وقال صاحب "فتح المجيد" في (باب ما جاء في كثرة الحلف)، في شرح حديث: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ...»:

قوله: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ» نفي كلام الرب تعالى وتقدس عن هؤلاء العصاة دليل على أنه يكلم من أطاعه، وأن الكلام صفة كمال له، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة من المحققين، قيام الأفعال بالله سبحانه، وأن الفعل يقع بمشيئته تعالى وقدرته شيئاً فشيئاً، ولم يزل متصفاً به، هو حادث الآحاد قديم النوع كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعي وأحمد وسائر الطوائف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال، والأفعال الدالة على الحال والاستقبال أيضاً، وذلك في القرآن كثير.

قال شيخ الإسلام: فإذا قالوا لنا يعني النفاة فهذا يلزم أن تكون الحوادث قائمة به، قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل وهو قول لازم لجميع الطوائف ومن أنكره فلم يعرف لوازمه وملزوماته، ولفظ الحوادث مجمل فقد يراد به الأمراض والنقائص والله تعالى منزّه عن ذلك كما نزه نفسه عن السنة والنوم واللغوب وعن أن يؤوده حفظ السماوات والأرض وغير ذلك مما هو منزّه عنه بالنص والإجماع، ثم إن كثيراً من نفاة الصفات المعتزلة وغيرهم يجعلون مثل هذا حجة في نفي قيام الصفات أو قيام الحوادث به مطلقاً وهو غلط منهم فإن نفي الخاص لا يستلزم نفي العام ولا يجب إذا نفيت عنه النقائص والعيوب أن ينتفي عنه ما هو من صفات الكمال ونعوت الجلال، ولكن يقوم به ما يشاؤه ويقدر عليه من كلامه وأفعاله ونحو ذلك مما دل عليه الكتاب والسنة، والقول الصحيح قول أهل العلم الذين يقولون لم يزل متكلماً إذا شاء كما قال ابن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما من أئمة السنة. قلت - يعني صاحب "فتح المجيد" -: ومعنى قيام الحوادث به تعالى قدرته عليها وإيجاده لها بمشيئته وأمره. انتهى مصححاً من "منهاج السنة النبوية" (١٧٩/٢).

وأما قوله في صفة الضحك أنها: «الرضا»، هذا صرف للفظ عن ظاهره بلا دليل يوجب ذلك وهو التحريف الذي سلكه اليهود وذمهم الله عز وجل على ذلك وقال الله عز وجل في معرض ذمهم: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ

كَلَّمَ اللَّهُ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٧٥﴾، وهذا تحريف لم يؤثر عن أحد من السلف وليس له وجه من كلام العرب.

ثم لو سلمنا هذا التأويل هنا جدلاً فكيف يجوز ذلك في قول النبي ﷺ: «يُضْحِكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ...» الحديث^(١) إذ الضحك هنا معدي بحرف (إلى) والرضا لا يتعدى ب (إلى) بل ب (عن) كقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وبطل معنى التضمنين وهذه كلها محاماة لمذهبه الباطل في نفي قيام الصفات الاختيارية.

ياليت شعري! كيف يحيب النافون عن مثل قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة في قول كل رسول إذا أتوا إليه مستشفعين: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ» أيتسنى لهم أيقولوا معناه غضب ربنا اليوم منذ الأزل غضباً لم يعضب قبله مثله ولا بعده مثله، ومتى قبله؟ أليس هذا من التناقض الدال على أدامة صاحبه وكذلك قول النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنِي عَلَى عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، قَالَ: حَمَدِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ⑤ أَهْدَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

(١) روياه في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

① صَرَطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٥٧﴾ [الفاتحة: ٥ - ٧] ، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ١).

والأحاديث كثيرة في الباب راجع كثيرًا منها في "جامع الرسائل" لابن تيمية (٢/٢٣-٢٨). والله تعالى أعلم.

ومن هنا كذلك عطلوا صفة النزول وفسروها بنزول رحمته وملكه وغير ذلك وهذه التأويلات مع كونها باطلة بذاتها - لأن الملك والرحمة ينزلان في غير هذا الوقت - وأصحابه مضطربون في تعيينها مما يدل على بطلانها ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] ، وقد تشبث الحبشي في التأويل المذكور بما جاء عن مالك أنه قال في النزول نزول رحمة لا نزول نقلة، وهذه رواية سوء عنه في سندها حبيب بن أبي حبيب، قال أحمد: كان يكذب، وقال أبو داود: كان من أكذب الناس، وهي مخالفة لما عرف من شأن مالك في إثبات الصفات وترك التعرض لها بالتكليف والتحريف.

وكذا تعلق الحبشي برواية النسائي لحديث النزول في "عمل اليوم والليلة" برقم (٤٨٢) ولفظه: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمَهِّلُ حَتَّى يَمُضِيَ شَطْرَ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ثُمَّ يَأْمُرُ مُنَادِيًا يُنَادِي يَقُولُ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفَرٍ يَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟» الحديث إسناده ظاهره الصحة إلا أنه من طريق عمر بن حفص بن غياث عن أبيه. قال الحافظ في (عمر): ثقة ربما وهم، وقال في (حفص): ثقة حافظ تغير حفظه قليلاً في الآخر، وقال الإمام الألباني: وأنا أقطع بأن هذا

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة من "صحيحه" عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث مما أخطأ في لفظه - يعني حفص - لمخالفة الثقات إياه فيه فقد رواه جماعة عن أبي مسلم الأغر باللفظ المعهود، ثم ذكر الإمام الألباني ستة ممن خالف حفص بن غياث في لفظ الحديث، وهم:

شعبة، ومنصور بن المعتمر، وأبو عوانه، وضاح بن عبد الله الشكري، ومعمر بن راشد، وإسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق، كلهم عن أبي إسحاق به.

قلت: على هذا فهذه الزيادة أي قوله : « يامر مناديا... إلخ » زيادة منكرة، وقد حكم على الحديث الإمام الألباني في "الضعيفة" (٣٨٩٧) و"الإرواء" (٤٥٠) بالنكارة وقال: « منكر بهذا السياق ». والحمد لله.



معنى قول السلف: «بلا كيف، ولا معنى، وتتركما جاءت»
ونحو ذلك من العبارات

وكان مراد السلف من إطلاق مثل هذه العبارة نفي العلم بكنه الصفة وحقيقتها لأنهم هم الذين أجمعوا على وصف الله عز وجل بها وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ وما كانوا يقرؤون كلامًا لا يفهمون معناه بل نزل القرآن بلسانهم الذي هو لسان العرب وفهموا القرآن والسنة بما فيها آيات الصفات وأحاديثها فآمنوا بها وصدقوا بها ولم يتعرضوا للخوض عما استأثره الله في علمه لأن الله عز وجل أخبرهم عن صفاته ولم يخبرهم عن كيفية صفاته وحقيقتها ولا سبيل إلى معرفة حقيقة الشيء إلا بإحدى ثلاثة أمور، إما بالنظر إليه وهذا ممتنع في الدنيا في حق الله عز وجل الإجماع قائم على عدم رؤية الله عز وجل في الدنيا أم بالنظر إلى مثله وهذا منتفي عن الله عز وجل لأن الله ليس كمثله شيء، ولم يكن له كفواً أحد، أو بطريقة الإخبار أي إذا أخبر الله عز وجل عن كيفية ذاته وحقيقتها عرفنا كيفيتها ولم يخبرنا الله عن ذلك بل أخبر أنه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار والخوض في الكيفية وتعيين المثل كل قول على الله بلا علم إذ لا سبيل إلى معرفة ذلك ويعتبر هذا قفواً في حق الله بلا علم، قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] ، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا

نَعْلَمُونَ ﴿ [الأعراف: ٣٣] ، وكان هذا مراد السلف كما قال مالك وشيخه ربيعة وغيرهما: الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. اهـ

وقال ابن القيم في "المدارج" (٣/٣٧٦-٣٧٧): يعني أن العقل قد يئس من أن يعرف كنه الصفة وكيفيتها فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله وهذا معنى قول السلف بلا كيف أي بلا كيف يعقله البشر فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته كيفية تعرف نعوته وصفاته ولا يقدر ذلك في الإيمان بها ومعرفة معانيها فالكيفية وراء ذلك كما أنا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر ولا نعرف حقيقة كفيته مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم. اهـ

• موقف الأحباش من هذه العبارات:

قال الحبشي في "إظهار العقيدة السنة" (ص ٢٣٣): إن قول السلف استوى بلا كيف تأويل إجمالي، وقول الخلف استوى بمعنى استولى تأويل تفصيلي. اهـ

قلت: قد خبت وخسرت إذا جعلت تحريفك للنصوص المتواترة الذي إجماع الأمة على بطلانه تأويلاً تفصيلياً وقول السلف البررة تأويلاً إجمالياً إن تريد إلا أن تقول طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم. قد ضللت إذن وما أنت من المهتدين إذ نسبت إلى السلف الجهل وعدم الحكمة بل مذهب السلف هو الأسلم والأعلم والأحكم؛ لأنه مستمد من الكتاب والسنة على مقتضى اللسان العربي وطريقتك أنت وإخوانك المتكلمة هي طريقة الجهل

والحيرة والردى المخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة علمائها وجهاتها وصبيانها ونسائها قبل ظهور الفتنة.

ثم لو سُلم لك جدلاً أن هذا تأويل إجمالي من أجاز لك أن تتعداه وتحالف إجماعهم وتتبع غير سبيلهم؟ قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ نُؤَلُّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] ، وقال عبد الله بن مسعود: اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم.

وقال بعض السلف:

كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

وقال عمر بن عبد العزيز: قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا ، وبِصَرٍ نَافَذَ كَفُوا ، وَهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى ، وبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أُخْرَى ، فَلَئِنْ قُلْتُمْ : حَدِّثْ بَعْدَهُمْ ؛ فَمَا أَحَدُهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي ، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي ، فَمَا فَوْقَهُمْ مُحْسَرٌ وَمَا دُونَهُمْ مُقْصَرٌ ، لَقَدْ قَصَرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ فَجَفَوْا وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ فَغَلَوْا ، وَإِنَّهُمْ فِيهِ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ . اهـ

صفة الإرادة لله عز وجل

هذه من المسائل المهمة التي خاض فيها طوائف كثرت زلاتهم وهفواتهم (مسألة القدر) والمنصوح به عدم الخوض فيه لذا قال الطحاوي: «وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والنظر والتعمق فيه ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة». اهـ

إن منشئ الضلال ومنبع الخذلان هو الخلط وإثبات الملازمة بين إرادة الله الكونية وإرادته الشرعية وقد أثبتت الملازمة بين الإرادتين القدريّة ثم غلبت جانب الإرادة الشرعية على إرادته الكونية حتى قالوا: لا يعلم الله عز وجل الأشياء والكائنات إلا بعد وقوعها وأفعال العباد مخلوقة لهم لا مخلوقة لله، وكذا الجبرية أثبتت الملازمة ثم غلبت جانب الإرادة الكونية حتى قالت: إن العبد مجبور على الكفر والعصيان مهما عصى العاصي وكفر الكافر فهو عندهم برضا الله ومحبه وإرادته وتبعهم على هذا الفكر الخبيث المخالف للكتاب والسنة الأحباش كما سيأتي تقريره إن شاء الله تعالى.

• الإرادة إرادتان:

إرادة كونية: وهذه ترادفها المشيئة وتستلزم الوقوع ولا تستلزم المحبة والرضا ومعنى هذا أن ما أَرَادَهُ اللهُ عز وجل كونًا يجب وقوعه ولا يجب أن يكون

مرضياً لله عز وجل ومحباً قد يكون مرضياً وقد لا يكون مرضياً وقد خلق الله إبليس وأراد وجوده كوناً والله لا يحبه وكذا خلق الكفر والعصيان وأراده كوناً لأنه لا يقع في الكون إلا ما أراد وقوعه ولم يحبه ويرضاه شرعاً كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

وإرادة شرعية: وهذه الإرادة ترادفها المحبة والرضا لا تستلزم الوقوع وتستلزم المحبة والرضا ومعناه أن ما أراد الله عز وجل شرعاً قد يقع وقد لا يقع وهو يحبه ومثال ذلك إيمان المؤمن وإيمان الكافر فأراد الله شرعاً من الكل الإيمان ووقعت هذه الإرادة بالنسبة للمؤمن ولم تقع في حق الكافر مع إرادته لها شرعاً.

النسبة بين الإرادتين عموم وخصوص وجهي (يجمعان في مادة وينفرد كل واحد منهما في مادة) **يجمعان** في إيمان المؤمن من حيث أن الله أراد منه شرعاً الإيمان ووقع كوناً ما أراد شرعاً فاجتمعت الإرادتان.

وتنفرد الإرادة الكونية في كفر الكافر ومعصية العاصي وقد أراد الله كوناً الكفر من الكافر والفسق من الفاسق حيث أمكنه منها وأقدره عليها، ولا يريده شرعاً لأن الله لا يرضى لعباده الكفر والفسوق والعصيان كما قال تعالى: ﴿وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

وتنفرد الإرادة الشرعية في إيمان الكافر وطاعة العاصي من حيث أن الله عز وجل أراد منهما شرعاً الإيمان والطاعة ولم يقع منهم ذلك مع إرادته لهما شرعاً، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فتعين انفراد الإرادة الشرعية، والدليل على

هذا التفصيل قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَعُدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، أي من أراد هدايته إرادة كونية وإلا فالله عز وجل يريد شرعاً من الكل الهداية وكذا من أراد إضلاله كوناً وإلا فإن الله عز وجل لا يريد شرعاً إضلال أحد ولا يرضى لعباده الكفر، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي فعلت بهم الأول وهو الخلق ليفعلوا هم الثاني أي العبادة، ومع ذلك لم يقع من كلهم العبادة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، فأخبر الله عز وجل - مع إرادته منهم عبادة الله واجتناب الطاغوت - فمِنْهُمْ من استجاب لذلك ومنهم من لم يستجب لذلك وحققت عليهم الضلالة وهذا واضح في التفريق بين الإرادتين والأدلة كثيرة في التفريق بينهما من الكتاب والسنة لمن نور الله قلبه وشرح للإيمان صدره ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

• عقيدة الأحباش في القدر:

وقال الحبشي في "الدليل القويم" (ص ٩٤) لا دخل لمشية العبد إلا في

الكسب. اهـ

أي: لا دخل للعبد إلا مباشرة الكسب بدون مشية منه واختيار.

ويقول كثيراً الحبشي كما في المصدر المذكور وغيره: «لو كان للعبد مشيئة لكان...» بل قال: «أفعال العباد مثل الأمراض التي تصيبهم». «الدليل القويم» (ص ١٣٦).

وقال كما في «صريح البيان» (ص ٤٣)، و«النهج السليم» (ص ٦٧): إن الله قد اضطر الكافر على الكفر وأنه لولا الله ما استطاع الكافر أن يكفر. وانظر «النهج» أيضاً (ص ٧١).

هذا عين الجبر لا سيما تشبيههم أفعال العباد التي اكتسبوها بمشيئة منهم واختيار بالأمراض التي تصيبهم عن غير شعور بها منهم وإرادة، قد خبتم وخسرتم إذا ظننتم ذلك برب العالمين وأحكم الحاكمين وأعدل العادلين وظننتم ظن السوء أن يكره الله العبد ويجبره ويضطره على الكفر والمعاصي ثم يعذبه عليها ويقول له يوم القيامة: لو كان لك ما في الأرض جميعاً أكنت مفتدياً به فيقول العبد المجبور - على زعمكم -: نعم، فيقول رب العالمين: فقد طلبت منك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم ألا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا الشرك^(١). وكان في كل هذا هو مجبوراً وغير قادر على ألا يشرك بالله. قبح الله المفترين عليه. ومذهبهم ومذهب القدرية باطل بالكتاب والسنة والإجماع.

• وأما الكتاب:

فقد تقدم ذكر بعضها قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

(١) إشارة إلى حديث أنس الذي رواه البخاري في «صحيحه».

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ ﴿ [التكوير: ٢٨ - ٢٩].

• وأما السنة:

في صحيح البخاري برقم (٣٣٣٤) عَنْ أَنَسٍ يَرْفَعُهُ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي فَأَبَيْتَ إِلَّا الشُّرْكَ» وفي صحيح البخاري عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَكَسَسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تَتَكَلَّمُ عَلَيَّ كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيَسْرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيَسْرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴾ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿ [الليل: ٥ - ٦] الْآيَةِ.

وهذه الأدلة كلها تدل على أن للعباد مشيئة تابعة لمشيئة الله عز وجل.

قال الإمام الطحاوي: وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شيء يجري بمشيئته وقدرته لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن. اهـ

وقال الإمام ابن قنينة: وعدل القول في القدر أن العباد يستطيعون ويعملون ويجزون بما يكسبون. اهـ

وقال ابن تيمية في "الفتاوى" (٨/٤٥٩-٤٦٠): وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر وأن الله خالق كل شيء وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء أن العباد لهم مشيئة و قدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم أن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله كما قال الله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ۝٥٤ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۝﴾ [المذثر: ٥٤-٥٦] الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿[الإنسان: ٢٩-٣٠]، وقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝٢٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [التكوير: ٢٧-٢٩]، و القرآن قد أخبر بأن العباد يؤمنون و يكفرون و يفعلون و يعملون و يكسبون و يطيعون ويعصون و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و يحجون و يعتمرون و يقتلون و يزنون و يسرقون و يصدقون و يكذبون و يأكلون و يشربون و يقاتلون و يجاربون فلم يكن من السلف والأئمة من يقول أن العبد ليس بفاعل ولا مختار ولا مريد ولا قادر ولا قال أحد منهم أنه فاعل مجازا بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون على أن العبد فاعل حقيقة والله تعالى خالق ذاته و صفاته و أفعاله. اهـ

فإن قيل: هل يريد الله عز وجل الكفر والمعاصي؟

الجواب: قال ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (ص ٢٥٢): هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقا، وتباينت طرقهم وأقوالهم. فاعلم أن المراد

نوعان: مراد لنفسه، ومراد لغيره. فالمراد لنفسه، مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد. والمراد لغيره، قد لا يكون مقصودا لما يريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مراد له من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده، فيجتمع فيه الأمران: بغضه وإرادته، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلقهما. وهذا كالدواء الكريه، إذا علم المتناول له أن فيه شفاء، وقطع العضو المتآكل، إذا علم أن في قطعه بقاء جسده، وكقطع المسافة الشاقة، إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوه. بل العاقل يكتفي في إثارة هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب، وإن خفيت عنه عاقبته، فكيف بمن لا يخفى عليه خافية، فهو سبحانه يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سبباً. اهـ

قلت: ومثل المحبوب والمراد لغيره، قول الشاعر:

أمر على الديار ديار ليل أقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار

الخلاصة: الحق الذي لا مرية فيه أن العبد مخير وميسر له مشيئة لا كما قالت الجبرية أنه مجبور، مشيئته تابعة لمشيئة الله لا كما قالت القدرية أنه خالق فعله من دون الله، الحمد لله الذي هدانا لما اختلفوا فيه من الحق.

قال العلامة سليمان بن عبد الله النجدي في "تيسير العزيز الحميد" بعدما ذكر التفصيل المتقدم: فافهم هذا تنجوا به من جهالات أرباب علم الكلام وتابعيهم. اهـ



هل يجب الرضا بكل مقضي؟

ويقول الأحباش كما "الموسوعة": أنه يجب الرضى بالكفر والعصيان؛ لأن الله قضاها وقدرها. اهـ

وهذا تخليط وإلزام بلا سنة ولا هدى ولا كتاب منير بل لا يجب الرضا بكل مقضي لأن الله قضى الكفر والعصيان والفسوق وهو غير راضٍ بها وكيف نرضى بها نحن والله لا يرضى بها قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمِّهَاتِ وَوَادَ الْبَنَاتِ وَمَنْعَ وَهَاتٍ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

وقال الله عز وجل بعدما ذكر عدة من المحرمات: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨].

وقال الإمام السفاردني:

وليس واجباً على العبد الرضا في كل مقضي ولكن بالقضا
لأنه من فعله تعالى وذاك من فعل الذي تقالا

بل إن المقضي إن كان أمراً محبوباً شرعاً يجب وقد يكون واجباً حبه كالرضا بقضاء الله الشرائع والأحكام وقد يكون مستحباً إذا كان دون ذلك وقد يكون

مباحًا فقط ويكون محرماً الرضا به كالرضى بالكفر والعصيان والفسوق يكون مكروهاً إذا كان دون ذلك، وإنما الواجب الرضا بقضاء الله الذي هو فعله.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في شرح "السفارينية": يعني لا يجب على الإنسان أن يرضى بكل مقضي وإنما يجب أن يرضا بالقضا الذي هو فعل الله عز وجل. اهـ ثم ذكر التفصيل المشار إليه فراجع.



صفة القدرة عند الأحباش

قال الحبشي كما في ”مجلة منار الهدى“: وقد أجمعت الأمة الإسلامية على كفر من نسب القدرة على الظلم إلى الله عز وجل، واتفقوا على كفر من يقول الله يقدر على الظلم ولكن لا يفعله. اهـ

بل قال في ”إظهار العقيدة السنية“ (ص ٤٠): ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] يعني: على غالب الأشياء قدير. اهـ

وهذا قول باطل بل الله قادر على كل شيء تتعلق به قدرته ومذهبهم هذا بنوه على تأويل الظلم بأنه التصرف في حق الغير وهكذا دأب أهل الأهواء يعرفون بتعريفات غير صحيحة ثم يعتمدونها في إبطال الحق وترويج الباطل.

وقال العلامة ابن القيم كما في ”مختصر الصواعق“ (ص ١٩٨-١٩٩): إن طرق الناس اختلفت في حقيقة الظلم الذي ينزه عنه الله عز وجل وقالت الجبرية هو المحال الممتنع لذاته كالجمع بين الضدين وكون الشيء موجوداً ومعدوماً في وقت وقالوا الظلم إما التصرف في حق الغير وإما مخالفة الأمر كلاهما في حق الله عز وجل ممتنع هذ قول جهم وأتباعه وقال أهل السنة والحديث ومن وافقهم هو وضع الشيء في غير موضعه وهذ قول أهل اللغة قاطبة وتفسير الظلم بذينك التفسيرين اصطلاح حادث ووضع جديد وهذ القول هو الصواب المعروف بالكتاب والسنة ولغة العرب وإنما تحمل ألفاظها على لغة القوم لاعلى

اصطلاحات حادثة فإن هذ أصل كل فسادٍ وتحريف وبدعة وهذا شأن اهل البدع دائماً يصطلحون على معان يضعون لهم ألفاظاً من ألفاظ العرب ثم يحملون الفاظ القرآن والسنة على تلك الاصطلاحات الحادثة. اهـ بتصرف يسير .

أما قوله: «أجمعت الأمة على كفر من قال: إن الله يقدر على الظلم» أي كفر من قال كما قال الله عن نفسه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] وقال: ﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وأجمعت الأمة على ذلك، قال ابن حزم: أجمعت الأمة على القول بقدره الله عز وجل. اهـ

وليس في أصل المسألة هو استحالة الظلم في حق الله عز وجل إتفاق فضلاً من أن يكون إجماع على تكفير من قال بقدره الله على الظلم.

وقال أبو الشيخ الأصبهاني: قال أهل العلم: معنى القدير يقدر على كل شيء من الخير والشر والطاعة والإسلام. اهـ انظر "الحجة في بيان المحجة" (١/١٣١)، و"المسائل العقدية" (ص ٨١٨).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في «الفتاوى» (٧٩/٨): اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قدير. اهـ

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: ذلك بأنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وبهذا وغيره تبين كذب الحبشي وخيائه العلمية في الإحالة ونقول الإجماع في مسائل شاذة، وهكذا دأبه في كثير من كتبه وقد ملأها نقل إجماعات مكذوبات مفتراة ظالم أهلها وإنما هو قول إخوانه الجبرية والجهمية.

والصواب الذي عليه أهل العلم قاطبة أن الله عز وجل قادر على كل شيء كما أخبر عن نفسه وهو قادر على الظلم وغيره؛ لأن الله عز وجل تمدح بنفيه عنه وقال: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، والحكيم لا يتمدح إلا بترك ما يقدر عليه ويصح منه ولو قال الأعمى إني لا أنظر إلى المحرمات - على جهة التمدح - لضحك منه الناس وقالوا شيء لا يقدر عليه كيف يتمدح بتركه وأيضاً قوله: «إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي» حقيقته أني منعت نفسي منه وإنما يمنع الحكيم نفسه مما يقدر على فعله ولو قال آدمي إني منعت نفسي من الصعود إلى السماء لسخر منه السفهاء فضلاً عن العقلاء ولأن الله عز وجل عامل عباده معاملة المستأجر مع الأجراء حيث قال لأهل الكتاب «هَلْ ظَلَمْتُمْكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ» والمستأجر يصح منه ظلم الأجراء، ولأن ترك الظلم مع إمكانه والقدرة عليه أكمل من تركه مع استحالته والعجز عنه، كما أن ترك الفحل الزنا أمدح له بالعفاف من ترك الخصي والعنين له.

قال العلامة العثيمين رحمته الله في "شرح الأربعين النووية" في شرح حديث أبي ذر القدسي: قوله: «إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ» أي منعته مع قدرتي عليه وإنما قلنا مع قدرتي عليه لأنه لو كان ممتنعاً على الله لم يكن ذلك مدحاً ولا ثناءً إذ لا يُثنى على الفاعل إلا إذا كان يمكنه أن يفعل أو لا يفعل فلو سألنا سائل وقال هل يقدر الله أن يظلم الخلق؟ فالجواب: نعم ولكن نعلم أن ذلك مستحيل بخبره حيث قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. اهـ

وقال ابن تيمية رحمته الله كما في "جامع الرسائل" (١/١٢٩): وهو قادر على أن يظلم لكنه سبحانه منزّه عن ذلك لا يفعل له لأنه السلام القدوس المستحق للتنزيه عن السوء. اهـ
انظر: "شرح الطوفى الحنبلي على الأربعين النووية" عند الحديث المشار إليه.

خلق الله الخلق لا لحكمة عند الأحباش

ويعتقد الحبشي أن الله خلق الكون لا لحكمة وأرسل الرسل وأنزل الكتب لا لحكمة وأن من ربط فعلاً من أفعال الله عز وجل بحكمة فهو مشرك^(١) وهذا من ضمن تأصيلاتهم الفاسدة ومعتقداتهم الباطلة المخالفة للكتاب والسنة والإجماع، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث وقد تقدم حديث أنس عند البخاري وفيه: «أردت منك ألا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا الشرك» وهذا الذي ذهب إليه الأحباش هو مذهب جهم بن صفوان من تبعه من الجبرية والمعتزلة والأشعرية وقد عزاه إليهم ابن تيمية في «الفتاوى» (٣٧/٨-٣٨)، وقال في (٤٠/٨): فالسلف متفقون على إثبات السبب والحكم خلقاً وأمرأ. اهـ



(١) انظر «الموسوعة الميسرة» (٤٣٢/١).

الأحباش في الإيمان مرجئة

الأحباش في مسألة الإيمان من المرجئة الجهمية الذين يؤخرون العمل عن الإيمان ويبقى الرجل عندهم مؤمناً وإن ترك الصلاة وسائر الأركان انظر "الدليل القويم" (ص ٧) و "بغية الطالب" (ص ٥١).

وقد ضل في تعريف الإيمان وحقيقته طوائف كثيرة وكان من أشر تلك الطوائف: المرجئة، وهم على قسمين:

مرجئة الفقهاء: وهم عندهم العمل لا يدخل في مسمى الإيمان لا يزيد الإيمان ولا ينقص، وإنما التفاضل في مخالفة الهوى وملازمة التقوى وهذا عندهم ليس من أصل الإيمان، والمعاصي تضر عندهم ولكن لا تنقص الإيمان.

وقال ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى" (٧/ ٥٧٠): ثم إن السلف والأئمة اشتد إنكارهم على هؤلاء وتبديعهم وتغليظ القول فيهم، ولم أعلم أحداً منهم نطق بتكفيرهم بل هم متفقون على أنهم لا يكفرون في ذلك. اهـ

وهؤلاء كأبي حنيفة وصاحبيه وكثير من أتباعه.

والمرجئة الغلاة هؤلاء يرجئون أن يؤخرون العمل عن الإيمان ويبقى الرجل عندهم مؤمناً كامل الإيمان حتى ولو ترك من الأركان ما ترك، والمعاصي عندهم لا تضر مهما عظمت وإيمان أبي بكر الصديق كإيمان أفسق المسلمين لا تفاضل، ومذهب المرجئة باطل بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة والإيمان الذي دل

عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة أنه: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

وقال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ١٣٦].
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

وقال تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال الإمام البخاري: فإذا ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص.

وفي "الصحيحين" عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

وفيها عن أبي هريرة رضي الله عنه: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

وقال الأجرى رحمه الله في "الشريعة" (٦١١/٢): اعملوا رحمة الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق ، وهو تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح ، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً ، ولا تجزئ معرفة بالقلب ، ونطق باللسان ، حتى يكون عمل بالجوارح ، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال : كان مؤمناً دل على ذلك القرآن ، والسنة ، وقول علماء المسلمين. اهـ . ثم ذكر بعض الأدلة المشار إليها.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله كما في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٩٥٢/٣): وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون إن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر. اهـ

قال ابن عبد البر رحمه الله في "التمهيد" (٢٣٨/٩): أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية. اهـ

وقال البغوي رحمه الله في "شرح السنة" (٧٨/١): اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان... وقالوا إن الإيمان قول وعمل وعقيدة. اهـ

وقال ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى" (٦٧٢/٧): وأجمع السلف على أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص ومعنى ذلك أنه قول القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح. اهـ

وغيرهم كثير ممن نقل الإجماع بل صرح غير واحد بكفر الغلاة منهم:

قال ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى" (٤٠٤-٤٠٥/٧): مبيناً أن سبب وقوعهم فيما وقعوا هو اعتقادهم أنه لا يجتمع في الإنسان بعض الإيمان وبعض الكفر وزعمهم عليه اتفاق المسلمين: فلأجل اعتقادهم هذا الإجماع وقعوا فيما هو مخالف للإجماع الحقيقي إجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة بل وصرح غير واحد منهم بكفر من قال بقول جهم في الإيمان. اهـ

إلحاد الأحباش في أسماء الله عز وجل

مع ما تقدم من إلحاد الأحباش في إنكار مدلولات الأسماء ومقتضياتها وزادوا إلحادًا في وصف الله عز وجل بما لم يسم به نفسه وكتسميتهم له باسم القديم ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال ابن القيم رحمه الله في "البدائع" (١/١٦٩): والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، مأخوذ من الميل ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه. اهـ

وقال الهراس رحمه الله في "شرح الواسطية": فالإلحاد فيها إما أن يكون بجحدها وإنكارها بالكلية وإما بجحد معانيها وتعطيلها وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات الفاسدة وإما بجعلها أسماء لبعض المبتدعات كالإلحاد أهل الاتحاد. اهـ

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: هو الميل بها عما يجب فيها وهو أنواع:
الأول: أن ينكر شيئاً منها أو مم دلت عليه من الصفات والأحكام.
الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين كما فعل أهل

التشبيه.

الثالث: أن يسمي الله تعالى بما لم يسم به نفسه كتسمية الفلاسفة له العلة الفاعلة.

الرابع: أن يشق من أسمائه أسماء الآلهة. اه مختصراً من "القواعد المثلث".

وقد نال الأحباش الثلاثة الأول من أنواع الإلحاد، أما الأول والثالث فواضحة، وأما الثاني لأنهم ما وقعوا في التعطيل إلا لما جعلوا الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة مشابهة لأسماء وصفات المخلوقين وظنوا ذلك وفروا من التشبيه - في ظنهم - إلى التعطيل كالمستجير بالنار من الرمضاء.

• ظواهر النصوص عند الأحباش:

وقال الحبشي كما في "الموسوعة" (٣٩٨/١): ظواهر النصوص كفر أن أخذ آيات القرآن على ظاهرها كفر. اه

هذا من الإلحاد الذي تقدمت الإشارة إليه وهو ظنهم أن ظواهر النصوص في الصفات مشابهة لصفات المخلوقين ولذا جعلوا الأخذ بظواهر النصوص كفراً
وكما قيل:

عليّ نحت القوافي من معادنها وما عليّ إذا لم تفهم البقر

وقال آخر:

وكم عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وهذا مع كونه إلحاداً في الإسماء وكذلك فيه اتهام لله أنه ما بين لعباده سبل الهدى ولا بين لهم الحق من الباطل ولا أرسل رسله يبينون للناس ما نزل إليهم

ولا أنزل القرآن بلسان عربي مبين واضح الدلالة وكذا اتهام لرسله أنهم ما بلغوا البلاغ المبين وإن أمروا به ولا بينوا للناس ما نزل إليهم من الهدى في أهم الأمور وهو التعريف بأسماء الله عز وجل وصفاته ولا يخفى ما فيه من البلايا والطامات، وياسبحان الله أي فرق بين هؤلاء وبين القرامطة والباطنية الذين طردوا هذا في جميع النصوص وقالوا المراد بالشرعية خلاف ظاهرها نسأل الله السلامة والعافية من الحرمان والخذلان.

• ما هو القدر المشترك بين الخالق والمخلوق في الأسماء والصفات؟

والذي أوقع المعطلة والمشبهة في ما وقعوا فيه هو ظنهم أن الإشتراك في اللفظ يلزم منه الإشتراك في الماهية والحقيقة وهذا ليس بصحيح ولا يلزم ذلك من قرب ولا من بعد فإليك البيان:

القدر المشترك بين أسماء الله وصفاته وأسماء المخلوق وصفاته هو اللفظ وأصل المعنى لا الحقيقة والكيفية فمثلاً صفة السمع وهذا اللفظ يطلق في حق الله عز وجل وحق غيره يقال الله يسمع والمخلوق يسمع وأصل المعنى هو إدراك الأصوات وهذا أيضاً مشترك بين الخالق والمخلوق وأما حقيقة المعنى وكيفيته فهو لائق بما أضيف إليه إذا قلت سمع الله يكون سمعاً لائقاً بالله لا يشاركه فيه غيره وإذا قلت سمع الإنسان يكون سمعاً خاصاً به لا يشاركه فيه غيره.

فإن قيل: فما الدليل على هذا التفصيل؟ يقال: قول الله تعالى في حقه: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله في حق الإنسان: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

[الإنسان: ٢] ، لو كان يلزم من الإتفاق في اللفظ الإتفاق في الحقيقة والكيفية لكان هذا تمثيلاً والله وصف نفسه وعباده بهذه الأوصاف وهو الذي قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وأما الإشتراك في أصل المعنى: لأن الخطاب كان لقوم عرب بلسان يفهمونه ولا يفهم العربي من كلمة سميع إلا إدراك الصوت لو لم يكن خوطب بلسان متعارف عندهم لما تم الخطاب ولما حصل البيان فتعين أن يكونوا خوطبوا بلسانهم المتعارف عندهم على حقيقة وكيفية لم يحيطوا بها علماً وقد فهموا هذا المقصد وأعلنوا الخضوع والإذعان قائلين سمعنا وأطعنا.

وقال الهراس رحمه الله في "شرح الواسطية" (ص ٦٤): إن هذه الأسماء إذا سمي الله بها نفسه كانت مختصاً به لا يشاركه فيه غيره فإن الإشتراك إنما هو في مفهوم الاسم الكلي وهذا لا وجود له إلا في الذهن وأما في الخارج فلا يكون المعنى إلا جزئياً مختصاً وذلك بحسب ما يضاف إليه فإن أضيف إلى الرب كان مختصاً به لا يشاركه في العبد وإن أضيف إلى العبد كان مختصاً به لا يشاركه في الرب. اهـ

ويكثر الحبشي من الإستدلال بقول الطحاوي: «من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

كلمة حق أريد بها الباطل، ومن الذي وصف الله بمعنى من معاني البشر من قال كما قال الله عن نفسه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، استواءً حقيقياً يليق به أم من زعم أن هذا يستلزم الحاجة والتجسيم والتركيب، ومن قال: الله في السماء كما قال عن نفسه أم من زعم أن هذا القول تشبيه يستلزم الحاجة والتجسيم... إلخ، ومن قال كما قال الله عن نفسه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، خلق العباد لعبادته آمن قال: خلق العباد عبثاً ولغوا، ومن وصف الله بما وصف به نفسه بدون تمثيل ولا تكييف أم من نفى عنه ما أثبتته لنفسه بدعوى التكييف والتمثيل.

وكلام الطحاوي نفيس جداً ولكن نعطيكم أنفس منه وأوضح:

قال الإمام نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري كما في "العلو" للذهبي (ص ١٨٤) بسند صحيح عنه: «من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل».

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله في تتممة كلامه: «من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر وعلم أن الله بصفاته ليس كالbشر». اهـ

ليس فيما وصف الله به نفسه تمثيل وقد وصف الله نفسه بالإستواء وليس فيما وصفه به رسوله تمثيل وقد وصفه الرسول بالنزول وليس في هذا تمثيل ومن جحد ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من الإستواء والنزول الحقيقي وغير ذلك فقد كفر، فاعلموا أن الله بصفاته ليس كالbشر.

وفي الحقيقة مع ما تقدم من أدلة الكتاب والسنة والإجماع هذا الأثر قاطع عرق كل معطل ومشبه يدعي التشبيه في نصوص الأسماء والصفات ولكن إنما يتذكر أولو الألباب ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، وكما قيل:

لقد أسمعت لو ناديت حيًا ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو نارًا نفخت بها أضواء ولكن أنت تنفخ في رماد

توحيد الألوهية

• أول الواجب عند الأحباش:

وقد وافق الحبشي إخوانه المتكلمة والمعتزلة وأظهر شدة حبه لهم وتأثره بهم في هذه المسألة العظيمة وقال كما في "إظهار العقيدة السنية" (ص ٢٧): «أن أول الواجب على العبد النظر». اهـ

بل استدل بسؤال الملكين في القبر بقولهما من ربك على أن أول الواجب توحيد الربوبية لا الألوهية.

أما قوله: «أول الواجب على العبد النظر»، أي: من أراد أن يسلم مثلاً فأول الواجب عليه أن يشك في الله ثم ينظر في خلق الله ويتدبر حتى يعرف الله على بصيرة بدون تقليد أحد.

نقول: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، وأي دليل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أجاز لكم ذلك الشك بل وأوجب على الناس ذلك الإيجاب حكم شرعي ولا يثبت إلا بدليل شرعي، أم على الله تفترون؟

قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [يونس: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١١٦) مَتَّعْ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿[النحل: ١١٦-١١٧].

بل أول واجب على العباد مطلقاً هو التوحيد، توحيد الألوهية الذي بعث الرسل لتقريره من لدن نوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى» الحديث متفق عليه عن ابن عباس.

وقال ابن تيمية في "نقض التأسيس" (١/١٣٣): ومن المعلوم أن التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع من عبادة الله وحده لا شريك له، ومن عبد غيره كان مشركاً ولم يكن موحدًا وإن أقر أنه خالق كل شيء. اهـ

وقال في "الجواب الصحيح" (٦/٢٧، ٣٦): دين جميع الرسل عبادة الله لا شريك له، وقال: وهو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل وهو حقيقة قول القائل لا إله إلا الله. اهـ

وقال في "الفتاوى" (١٠/٤٩): بل إخلاص الدين لله هو الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولون من الرسل وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة أهل الأديان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي عليه رحاه. اهـ

وقال في (٣٠٥/٧): عن أبي العباس ابن سريج أنه سئل ما التوحيد فقال :
توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول
الله، وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام، وإنما بعث النبي ﷺ
بانكار ذلك. اهـ

وطريقة النظر مع كونها ليس عليها دليل وأدلة الكتاب والسنة والإجماع أيضاً
تردها بل كان يسلم كثير من الناس ولم ينقل عن أحد منهم أن النبي ﷺ أمرهم
بالنظر بل أمرهم بأن يقولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وقال لهم: قولوا لا
إله إلا الله تفلحوا، وأتى أبا طالب وهو في حضرة الموت فقال يا عم قل لا إله إلا
الله كلمة أحاج لك بها عند الله بل وبعث معاذاً إلى اليمن فأمره أن يكون أول ما
يدعوهم إليه أن يوحدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، ومع هذا كله طريقة النظر
نصب بلا طائل لأن كبير ما يتحصل عليه المتكلمة النظار هو الإقرار بتوحيد
الربوبية مع ما عندهم من الحيرة وهذه مسألة متفق عليها عند المسلمين
والمشركين واليهود والنصارى ولم ينازع فيها إلا القليل من الناس كفرعون
ونمرود ظلماً وعلواً لا حقيقة واعتقاداً منهم في انكار ذلك، وقال تعالى:
﴿ وَجَحِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلوًّا ﴾ [النمل: ١٤] ، وقال موسى لفرعون:
﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢] ،
وقال تعالى عن كفار قريش: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ
السَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦١] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧] ، ومع ذلك لم يدخلهم هذا الإقرار في الإسلام ولم يعصم
دمائهم بل قاتلهم النبي ﷺ وسباهم.

وأما استدلالهم بقصة الملكين ليس فيه دلالة لأن المقصود بالرب هنا الإله، لأن في الحديث سؤال المنافق أو المرتاب عن ذلك فيقول: لا أدري وهذا يدل على أن المقصود بالرب الإله لأن المنافق والكافر كان يقر بأن الله هو ربه ويعلم ذلك وأما إطلاق الملكين اسم الرب لأن كلمة الرب إذا افردت شملت معنى الإله كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]، وقال: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]، وأما إذا اجتمعت مع كلمة الإله انفرد كل واحد منهم بمعنى الخاص له كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [مَلِكِ النَّاسِ] (١) مثل هذين اللفظين لفظ البر والتقوى والإثم والعدوان والفقير والمسكين.

• حكم الساجد للصنم عند الأحباش:

وسئل الحبشي كما في "الموسوعة" في شريط له: ما حكم السجود لصنم لم يسجد له بعد؟

قال: «كبيرة من كبائر الذنوب ليس أكثر وليس شرًا». اهـ

انظر كيف يزهد في شأن السجود للصنم قائلاً: ليس أكثر ليس شرًا، بل سجود العبادة لغير الله عز وجل شرك مخرج من الملة لأن السجود عبادة خاصة بالله عز وجل وصرفه لغير الله عز وجل شرك.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" (١/٢٣٦): السجود هو سر العبودية، فإن العبودية هي الذل والخضوع فيقال: طريق معبد أي ذلته الأقدام ووطئته وأذل ما يكون العبد وأخضع إذا كان ساجداً. اهـ

قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

قدم في هاتين الآيتين المعمول الذي هو المفعول به والجار والمجرور على العامل الذي هو الفعل لفائدة الحصر والتخصيص أي يفيد أن السجود والعبادة لا تكون إلا لله عز وجل مختصاً به فصرفه لغيره شرك.

وقال العلامة ابن عبد البر رحمه الله في "التمهيد" (٤٥/٥): وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه وسائر أمته الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجداً كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها وذلك الشرك الأكبر. اهـ

وقال أبو المظفر السمعاني: من سجد لغير الله فقد اتخذ رباً. اهـ

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]: (شاهدين على أنفسهم بالكفر): أي السجود للصنم. انظر تفسيره عند الآية (٣٢٩/١).

وقال ابن تيمية رحمه الله في "افتضاء الصراط المستقيم" (١٩٦/١): وأما السجود لغير الله أو عبادته فهو محرم في الدين الذي اتفت عليه رسل الله. اهـ

• توحيد الربوبية الذي أقرب به كفار قريش عند الأحباش:

ولم يكتفِ الأحباش في مضاهاتهم الجهمية والملاحدة في تعطيل الرب في إنكار أوصافه عز وجل وتعطيله عن خصائصه حتى أجازوا عبادة غيره ودعائه وطلب قضاء الحوائج منه وقد فاقوا كفار قريش في الشرك فإنهم كانوا يدعون من يدعون تشفعاً بهم إلى الله عز وجل كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] ، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

بل كانوا مع ذلك إذا أَلَمَت بهم ملهمات ونزلت بهم نوازل تضرعوا إلى الله عز وجل مخلصين له الدين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْ طَيْبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِنْ أُنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢] ، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أُنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣] ، وأما عند الأحباش أنهم بأنفسهم يسمعون ويحييون ويقضون الحوائج ويستجيبون الدعوات ويفرجون الكربات.

سئل الحبشي كما في شريط "رد خالد كنعان على الحبشي" و "الموسوعة" (٢٦/١) عمن يستغيث بالأموات ويدعوهم قائلاً: «يا سيدي بدوي أغثني يا دسوقي المدد قال: يجوز أن يقول: أغثني يا بدوي ساعدني يا بدوي، قيل له: لماذا

يقول يا عبد القادر يا سيدي بدوي ولا يقول يا محمد؟ قال: ولو، أي ومع ذلك فهو جائز. لكن تركه أفضل. قيل له: أن الأرواح تكون في برزخ فكيف يستغاث بهم وهم بعيدون؟ أجاب: الله تعالى يكرمهم بأن يسمعهم كلامًا بعيدًا وهم في قبورهم فيدعو لهذا الإنسان وينقذه، أحيانًا يخرجون من قبورهم فيقضون حوائج المستغيثين بهم ثم يعودون إلى قبورهم.

وقال في "الدليل القويم" (ص ١٧٣) و "صريح البيان" (ص ٥٧-٥٨) وغيرهما: ليس مجرد الاستعاذة بغير الله يعتبر شركًا ثم استدل بحديث: «أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد».

واستدلوا كما في نشرة "شؤون الخارج" (ص ١٦) و "الموسوعة" (٥٥/١) على سماع الأنبياء والأولياء في قبورهم بسماع أبي جهل يوم بدر قياسًا أولويًا.

واستدلوا كذلك بسماع من في القبور بقول زائري القبور: السلام عليكم أهل القبور، وقالوا: هل يقولون السلام عليكم لقوم لا يسمعون؟ واستدلوا أيضًا بفعل موسى ليلة الإسراء في تخفيف الصلاة على جواز طلب قضاء الحوائج من أهل القبور، قالو: فحصل به نفع وهو ميت.

اعلم أعاذنا الله وإياك من تخليطات الزائغين وشطحات المعرضين ومن اختلاج العقول أن دعاء غير الله عز وجل شرك مخرج من الملة بإجماع المسلمين والدعاء يشمل الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة، والاستغاثة: هو طلب إزالة الشدة، والاستعاذة: طلب إزالة ضرر يخشى حلوله، والاستعانة: طلب العون في أمر مرغوب فيه، والدعاء أعم من هذا كله.

قال ابن تيمية رحمه الله كما في "الفتاوى" (٢٢٧/١٥): فالإستعاذة والإستجارة والإستغاثة كلها من نوع الدعاء أو الطلب وهي ألفاظ متقاربة. اهـ

والنصوص السماوية في تحريم هذه الأمور والتغليظ على من فعل ذلك لا تحصى كثرة ويتلخص منها أن الإستعاذة والإستغاثة والإستعانة عن عاجز أو غائب أو ميت فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل كفر صراح مخرج من الملة فدونك بعض الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٣].
وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَلْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴾ [٥] وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿ [الأحقاف: ٥ - ٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَامَةِ ﴾ [البينة: ٥].

وفي "الصحيحين" عن ابن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءَ دَخَلَ النَّارَ» وَقُلْتُ أَنَا: مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يَدْعُو لِلَّهِ نِدَاءً دَخَلَ الْجَنَّةَ. وفيهما عنه أيضًا: أنه سأل النبي ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنْ ذَلِكَ لِعَظِيمٍ.

وروى الإمام أحمد برقم (٢٦٦٤)، والترمذي برقم (٢٥٢٦) عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال له: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ». وهو حديث صحيح.

قال ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى" (١١/٦٦٢-٦٦٣): ومن الشرك أن يدعو العبد غير الله كمن يستغيث في المخاوف والأمراض والفاقات بالأَمْوات والغائبين فيقول: يا سيدي شيخ فلان لشيخ ميت أو غائب فيستغيث به ويستوصيه ويطلب ما يطلب من الله من النصر والعافية فإن هذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله باتفاق المسلمين.

وقال في (١/١٢٤): فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكرب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في "الرسالة السنية": فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر النبي بقتالهم فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضا من الإسلام والسنة حتى يدعى السنة من ليس من أهلها بل قد مرق منها وذلك

بأسباب منها: الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرنى أو أغثنى أو ارزقنى أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا شريك له ولا يدعى معه إله آخر والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق، أو تنزل المطر، أو تنبت النبات وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم، أو يعبدون صورهم، يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٢٥]، ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، فبعث الله سبحانه رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استعانة. اهـ

وقال أيضاً: من جعل بينه وبين الله وسائط ويتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً. اهـ انظر "الفتاوى" (ص ٣٨٣-٣٩٥)، و"فتح المجيد" (ص ٢٧٥-٢٧٦) تحقيق الشيخ محمد بن حزام.

• وأما زعمهم أن الأنبياء والأولياء يسمعون في قبورهم قياساً على أبي جهل:

هذا قياس فاسد الاعتبار؛ لأنه في مقابل النص وأيضاً قياس في العقيدة، قال ابن سيرين كما في "ذم الكلام للهروي": ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس، وقال ابن عبد البر: لا خلاف في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام. اهـ

أما كونه في مقابلة النص، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الْأَضْمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أَمْذَبِينَ ﴾ [النمل: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكَكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٤].

وما جاء من سماع أهل قليب بدر وكذا سماع الميت خفق النعال بعد الدفن ونحو ذلك هو خلاف الأصل في أهل القبور.

وقال شيخنا العلامة يحيى -مفتي (الله)- في بعض دروسه النافعة: الأصل في الأموات أنهم لا يسمعون للآيات المذكورة وما جاء من سماع بعضهم مستثنى من ذلك مخصوص على ما جاء به ولا يقاس عليه غيره. اهـ بمعناه.

ويؤيد ما ذكره الشيخ ما أسنده الإمام "البخاري" برقم (٣٩٧٦)، و"مسلم" برقم (٢٧٧٥) عن قتادة راوي الحديث عن أنس أنه قال: «أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيحًا وَتَضْغِيرًا وَنَقِمَةً وَحَسْرَةً وَنَدْمًا».

ولما بلغ حديث: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ» -أي أهل بدر- عائشة قالت: إِنَّمَا قَالَ: «إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ»، ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ [النمل: ٨٠]، ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢].

وقال الشيخ يحيى مفتي (الله) فعلا: الحق مع عائشة في استدلالها بعموم الآية، لا في تأويلها الحديث أي في نفيها سماعهم في هذه الصورة خاصة.

وأما استدلالهم بإقراء الأحياء السلام على أهل القبور ليس فيه دلالة على سماعهم.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: لا يستلزم أنهم يسمعون ذلك بل هو بمعنى الدعاء والتقدير: اللهم اجعل السلام عليكم، كما نقدر في قولنا في الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، فإن المعنى: اللهم اجعل الصلاة والسلام عليك يا رسول الله. اهـ

ولا يلزم من الخطاب السماع وقد خاطب عمر الحجر الأسود فقال: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ».

فقولوا إذا: كان يستلزم الخطاب عندكم السماع؛ أن الحجر يسمع.

انظر "الموسوعة" (٥٧/١).

وأما استدلالهم بحديث: «أعوذ بالله ورسوله» على جواز الإستعاذة بغير الله.

يقال: ثبت عرشك ثم انقش فإن زيادة: «ورسوله» شاذة، شذ بها زيد بن الحباب وهو سيء الحفظ وقد خالفه من هو أولى منه عدداً ووصفاً.^(١)

وأما استدلالهم بقصة موسى ليلة المعراج على جواز طلب قضاء الحوائج من الموتى فهذا تحميل للأدلة فوق طاقتها وغلو في الدين، وقد قال النبي ﷺ كما في حديث ابن مسعود: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا.^(٢)

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ أخذ حصاة هن حصا الخذف فقال: «نَعَمْ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ»^(٣).

(١) انظر: "سنن الترمذي" (٣٢٣)، و"الضعيفة" (١٢٢٣).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد برقم (١٨٥١)، وابن ماجه برقم (٣٠٢٩)، وغيرهما، وهو حديث حسن.

وإن لم يكن من هذا الباب فأين لكم الإستدلال على ما ذكرتم وهل فيه أن النبي ﷺ سأل موسى أن يخفف عنه الصلاة؟ أم سأل ربه وهل فيه أن النبي ﷺ ذهب إلى موسى طالباً التخفيف؟ أم رجع إلى ربه يراجعه في التخفيف؟ أو كما قيل أن صاحب الهوى يتشبث بخيط كخيط العنكبوت.

ثم نقول أن هذه الأخبار التي زعمتم أنها حجتكم ليست متواترة كلها بل هي شواذ غير صريحة في المقصود فكيف صح لكم أن تحتجوا بها بالعقيدة والشرط عندكم أنه لا يستدل في العقيدة بأخبار الآحاد أم تحرمونه على الناس وتجزؤونه لأنفسكم وتقولون ما لا تفعلون ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، وتردون بها أدلة الكتاب والسنة الصريحة والإجماع الصحيح وتتبعون فيها غير طريق المؤمنين.

وكذا استدلووا في توسل الصحابة بالنبي ﷺ في حياته على جواز الإستغاثة بغير الله عز وجل وهذه مزلة أخرى وهي الخلط بين التوسل والإستغاثة وقالوا التوسل هو الإستغاثة وأخذوا الأدلة التي فيها التوسل واستدلوا بها على جواز الإستغاثة بغير الله والتفريق بينهما محتم في الكتاب والسنة.

وأما التوسل: فيجوز إما:

• **بأسماء الله عز وجل وصفاته، وقال الله تعالى عن سليمان: ﴿وَادْخُلِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].**

• **وإما بعمل صالح كما في حديث ابن عمر في "الصالحين" وجاء عن النعمان بن بشير وغيره في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة حتى سدت**

عليهم الباب فقال أحدهم إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فدعا كل واحد منهم بصالح عمله فانفجرت الصخرة عنهم فخرجوا يمشون.

• وإما بدعاء رجل صالح كما في "الصحيحين" عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون.

وأما الإستغاثة بغير الله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل فلا يجوز للأدلة المشار إليها قبل.

أفترون يا أحباش: أنه لو كان كما تعتقدون من أن الموتى يسمعون في قبورهم ثم يستجيبون، ويجوز الإستغاثة بهم يترك الصحابة قبر النبي ﷺ الذي كانوا يتوسلون به في حياته فيذهبون إلى عمه يتوسلون بدعائه، لتقلوا يا هؤلاء من العظائم ولا تخلطوا بين المعلومات تجاهلاً وتلبيساً.

ثم هذا الذي زعمتم من أن التوسل هو الإستغاثة وأن المتوسل به وهو المستغاث به لم يقله قبلكم أحد فضلاً عن مسلم وفضلاً عن عالم وما أشبه اليوم بالأمس وقد خلط مثل تخليطاتكم هذه البكري وأضاف إليها نظيرها حتى كفر بها ابن تيمية وقال: لفظ - نفى الإستغاثة بالنبي ﷺ - يقتدي عدم صلاحية النبي ﷺ لأن يكون وسيلة لله في طلب الإغاثة، هذا نفى لوصف من أوصاف الكمال.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فيقال له نفى الإستغاثة به في شيء مخصوص أو وقت مخصوص لا يفهم أحد منه نفى التوسل به ولا نفى كونه سبباً وإنما يفهم

منها نفي الطلب منه لذلك الشيء أو في ذلك الحال وما ذكرته فيما تقدم من أن المتوسل به هو المستغاث به قول لم يقله أحد قبلك لا من العرب ولا من العجم وليس لأحد أن يفسر اللفظ بمعنى لا يعرفه أحد. اهـ انظر "الاستغاثة" (٥٢٢/٢).

وقال الإمام الرضا عليه السلام في "نقضه المريسي" (ص ٥١٧-٥١٨): لا يجوز أن يستعاذ بوجه شيء غير وجه الله وبكلماته، لا يستعاذ بوجه مخلوق. اهـ

وقال الحلال عليه السلام في "السنة" (٨٧/٨): لا يجوز أن يقال: أعيدك بالماء أو بالجبال أو بالأنبياء أو بالملائكة أو بالعرش أو بالأرض أو بشيء مما خلق الله لا يجوز إلا بالله أو بكلماته. اهـ

وقال ابن خزيمة عليه السلام في "التوحيد" (٤٠١/١-٤٠٢): أفليس العلم محيطاً، يا ذوي الحجا؟ أنه غير جائز أن يأمر النبي بالتعوذ بخلق الله من شر خلقه؟ هل سمعتم عالماً يميز، أن يقول الداعي: أعوذ بالكعبة من شر خلق الله؟ أو يميز أن يقول: أعوذ بالصفاء والمروة؟ أو أعوذ بعرفات ومنى، من شر ما خلق الله؟ هذا لا يقوله ولا يميز القول به مسلم يعرف دين الله، محال أن يستعين مسلم بخلق الله من شر خلقه.

قلت: ما سمعنا من عالم أجازهم ولا استعاذ بها وما سمعناه إلا من الأحباش الذين نبذوا أدلة الكتاب والسنة وراء ظهورهم.

وقال الإمام الخطابي عليه السلام: لا يستعاذ بغير الله وصفاته إذ كل ما سواه تعالى وصفاته مخلوق ولذلك وصفت كلماته بالتها وهو الكمال وما من مخلوق إلا وفيه نقص والإستعاذة بالمخلوق شرك منافٍ لتوحيد الخالق لما فيه من تعطيل معاملته تعالى الواجبة له على عبده. اهـ

وكيف يجوز طلب الحوائج من الموتى؟ وقد كره أهل العلم أن يدعو الزائر قبر النبي ﷺ مستقبلاً إلى القبر سداً لذريعة الدعاء غير الله عز وجل وهذا إمام دارالهجرة يقول: «لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو لكن يسلم ويمضي». وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله كما في كتاب «البدع والحوادث» (ص ١٢١): «ولا يتمسح بقبر النبي ﷺ ولا يمس كذلك القبر ولكن يدنو من القبر فيسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبل القبلة».

وقال الإمام أبو الحسن الزعفراني رحمه الله كما في «المجموع شرح المذهب» (٢٨٦/٥): «فمن قصد السلام على ميت سلم عليه من قبل وجهه وإذا أراد الدعاء تحول عن موضعه واستقبل القبلة. اه انظر «المسائل العقدية» (ص ٨٢٨).



موقف الأحباش من السنة

يرد الحبشي بعض أحاديث الصفات بحجة أنها ليست متواترة والعقيدة لا تبنى على أخبار الآحاد.

هذا مما أخذوه من إخوانهم المعتزلة الذين ردوا النصوص بهذه الحجة الواهية التي افعلوها من قبل أنفسهم بلا كتاب ولا سنة ولا هدي مبين، وهكذا صنيع أهل الأهواء والبدع التشكيك في النصوص التي تخالف أهوائهم سنداً ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً بأنها آحاد ما تفيد العلم ونحو ذلك فإن فشلت طريقتهم هذه بأن يكون النص متواتراً كآية في القرآن رجعوا إلى التشكيك في دلالتها فيقولون: ليست قطيعة الدلالة، وهكذا تسلطوا على النصوص ردّاً وتعطيلاً وتحريفً بغير برهان من الله ﷻ أم لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﷻ [الشورى: ٢١]، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ، وَنَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا نَذْرِي، وَمَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ»، وعن المقداد بن معد يكرب قال: قال النبي ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَشْنِي شُبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»^(١).

(١) رواه الإمام أحمد في "مسنده" (٢٣٨٦٥) و(١٧٢١٣)، وغيره عن أبي هريرة والمقداد بن معد يكرب بأسانيد صحاح.

وقد أوحى الشيطان إلى أوليائه هذا الطاغوت سلفاً منهم وخلفاً لرد النصوص والتسلط عليها إلحاداً فيها ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١] ، ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٣] ، وقد رد على هذا الطاغوت الإمام البخاري في صحيحه وعقد كتاباً حافلاً على بطلانه وأنه محدث وما قال به أحد من أئمة الدين إنما أتى من قبل المعتزلة لغزو النصوص وكذلك ابن القيم في "الصواعق المرسلة" كسره من ضمن الطواغيت التي ركبها أهل التعطيل لرد النصوص.

وكذلك قولهم: قطعي السند والدلالة، والصحيح الذي عليه سلف الأمة وانتصر له ابن القيم في "الصواعق" أن الحديث إذا ثبت سنده واشتهر في كتب أهل الشأن ولم يُعله أحد من أئمة الدين وحفاظها فإنه يفيد القطع بثبوتة عن النبي ﷺ ، وكذلك هي قطعيات الدلالة وما قال أحد من السلف في شيء منها أنها ليست بقطعية الدلالة وقد خوطبوا بلسان عربي مبين على لسان نبي مأمور بالتبليغ والبيان وليس فيه عي في التعبير والفصاحة، وهو يريد النصح والبيان عالم بما يقول وصادق في ذلك، وما اجتمعت هذه العناصر في خبر ما إلا وجب قبوله والعمل به فكيف بأخبار الله ورسوله.

ولما مر الصحابي بأهل قباء وهم في صلاة العصر، فقال: يشهد أنه صلى مع النبي ﷺ وأنه أمر أن يستقبل القبلة فاستداروا كما هم إلى الكعبة. ولما قالت المرأة للنبي ﷺ إنه لحم ضب فرفع رسول الله ﷺ يده من المائدة. وقد بعث النبي ﷺ معاذاً إلى أهل اليمن ليعلمهم التوحيد وسائر الأحكام. وكذلك كان يبعث رسله

معلمين مدرسين بل كان يؤذن ويقيم مؤذن واحد ويصلي بهم إمام واحد وما للنبي ﷺ اكتفى في هذه الحالات وغيرها بأخبار الآحاد ولم يتحر تواترهم ولم يأمر به وما للصحابة من بعده لم يقولوا كما قلتم لا نقبل هذه الأحاديث لأنها آحاد ولماذا لا تقولون كما قالوا سمعنا وأطعنا، أم تشتت عليكم الطرق بعده وشاقتكم الرسول من بعد ما تبين الهدى واتبعتم غير طريق المؤمنين لتستحقوا وعيد الله.

ثم التفريق بين المسائل العقدية والأحكامية ما عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا قال به أحد من السلف وهو تفريق بين متماثلين والشرعية متساوية الأضلاع لا تفرق بين متماثلين.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله كما في "مختصر الصواعق" (ص ٥٢٥) في ذكر الطوائف الذين ردوا الأحاديث النبوية: «وطائفة ثالثة قالت: نقبل من الأخبار عن رسول الله ﷺ متواترها ونرد آحادها سواء كان مما يقتضي علماً أو عملاً وقد ناظر الشافعي بعض أهل زمانه في ذلك فأبطل الشافعي قوله وأقام عليه الحجة وعقد في "الرسالة" باباً أطال فيه الكلام في تثبيت خبر الواحد ولزوم الحجة به وخروج من رده من طاعة الله ورسوله ولم يفرق أحد من أهل الحديث البتة بين أحاديث الأحكام وأحاديث الصفات ولا يعرف هذا الفرق عن أحد من الصحابة ولا عن أحد من التابعين ولا من تابعيهم ولا عن أحد من أئمة الإسلام وإنما يعرف عن رؤوس أهل البدع ومن تابعهم». اهـ



تقسيم ألفاظ النصوص إلى مجاز وحقيقة



وهذا الطاغوت الآخر والحمار الذي ركبهُ حِمَارِيُّوا المعطلة لنفي الصفات وتعطيلها ورثوه خلفاً عن سلف وهو باطل لا يدل عليه دليل شرعي ولا عرفي ولا عقلي.

وقال العلامة ابن القيم رحمته الله في "مختصر الصواعق" (ص ٢٤١-٢٤٢):
تقسيم الألفاظ ومعانيها واستعمالها فيها إلى حقيقة ومجاز إما أن يكون عقلياً أو شرعياً أولغويّاً أو اصطلاحياً، والأقسام الثلاثة الأول باطلة فإن العقل لا مدخل له في دلالة اللفظ تخصيصه بالمعنى المدلول عليه حقيقة كان أو مجازاً فإن دلالة اللفظ على معناه ليس كدلالة الانكسار على الكسر والانفعال على الفعل، لو كانت عقلية لما اختلفت باختلاف الأمم ولما جهل أحد معنى اللفظ، والشرع لم يرد بهذا التقسيم ولا دل عليه ولا أشار إليه، وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغاتها إلى حقيقة ومجاز ولا قال أحد من العرب قط هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز ولا وجد في كلام من نقل لغتهم عنهم مشافهة ولا بواسطة ذلك ولهذا لا يوجد في كلام الخليل وسبويه والفراء وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وأمثالهم كما لم يوجد ذلك في كلام رجل من الصحابة ولا من التابعين ولا تابعي التابعين ولا في كلام أحد من الأئمة الأربعة. اهـ

وقال الشنقيطي رحمته الله في "مذكرة أصول الفقه" (ص ٦٩) [ط. ابن تيمية]: وقد بينا أدلة منعه في القرآن في رسالتنا المسماة منع جواز المجاز في المنزل للتعبد

والاعجاز ومن أوضح الأدلة في ذلك أن جميع القائلين بالمجاز متفقون على أن من الفوارق بينه وبين الحقيقة أن المجاز يجوز نفيه باعتبار الحقيقة، دون الحقيقة فلا يجوز نفيها، فتقول لمن قال رأيت أسدًا على فرسه، هو ليس بأسد وإنما هو رجل شجاع، والقول في القرآن بالمجاز يلزم منه أن في القرآن ما يجوز نفيه، وهو باطل قطعاً، وبهذا الباطل توصل المعطلون إلى نفي صفات الكمال والجلال الثابتة لله تعالى في كتابه وسنة نبيه، بدعوى أنها مجاز كقولهم في استوى استولى. وقس على ذلك غيره. اهـ

وكذلك من أدل الأدلة على بطلان قولهم تعريفهم للمعنى الحقيقي بأنه: ما وضع له اللفظ أولاً، وللمجاز: هو ما وضع له اللفظ ثانياً.

وقال الإمام الشنقيطي رحمه الله في "المذكرة" (ص ٧٢): ولو كلفنا من قال بالوضع للمعنى الحقيقي أولاً ثم للمعنى المجازي ثانياً بالدليل على ذلك لعجز عن إثبات ذلك عجزاً لا شك فيه. اهـ

وقد كسر ابن القيم هذا الطاغوت في "الصواعق" من واحد وخمسين وجهاً فراجعه في "مختصره" (ص ٢٤١-٢٩٢) وقال كما في (ص ٢٨٩): فيا ضحكة العقلاء ويا شماتة الأعداء بهذخ العقول السخيفة التي كادها عدوها ويوفق الله عقل من أنكر عليه قدرته ويكذب عليه حيث يزعم أن غالب كلامه مجاز لا حقيقة له، لشهود هذا الذي هو بأقبح الهذيان أشبه منه بالفصاحة والبيان. اهـ

إساءة أدب الحبشي مع رب العالمين

وقد أساء الأدب الأحباش خصوصًا والمعطلة عمومًا في النفي المحض الذي لا يوصف به إلا العدم وتعدى ذلك الحبشي حتى تفوه بما يدل على قلة أدبه مع ربه وخفة عقله وزيف قلبه وتستر باسم التنزيه الذي هو في الحقيقة خوض في التمثيل والتكيف فأخذ يفرض في حق الله عز وجل ما اعتبرها ألفاظًا سيئة يقول على سبيل التنزيه - لا يقال - أخت الله ولا حياة شوارب الله ولا دخيل رجلين ربك ولا حل عني أنت وربك ونحو ذلك. انظر "النهج السليم" (ص ٦٤، ٥٧)، و"الدليل القويم" (ص ١٤٥، ١٤٩)، و"بغية الطالب".

هذا وأمثاله الذي أوقع كثيرا من الفلاسفة الإلهيين في زندقة وأوقع المتكلمين فيما أوقعهم فيه من الخوض والغوص في ذات الله عز وجل بما لم يؤتوا به علمًا تمثيلًا تكيفًا، ألا ترى أنك لو قلت لملك ما أنت لست بزبال ولا كناس ولا سبال ولا بليد ولا غبي أنه يبادر بتأديبك وما هذا إلا لأن هذا النفي المحض لا يكون أبدًا كمالًا بل مقارنته ذلك بالناقص هو عين النقص، وقد قيل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل أن السيف أمضى من العصا

وليس في الكتاب ولا السنة ولا في كلام أئمة السلف إطلاق النفي المحض في حق الله عز وجل لأن النفي المحض لا يكون كمالًا بل يكون نقصًا أو يكون لعدم

قابلية المحل له لا لدلالته على الكمال، والمراد من وصف الله عز وجل إثباتاً ونفيًا هو بيان كمال الله عز وجل، والنفي المحض لا يكون كمالاً ألم تسمع قول الشاعر:

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

وأراد أن يذمهم ويصفهم بالضعف والعجز وعدم القدرة على الانتقام بسبب هذا الخوف والعجز من البطش لا يغدرون ولا يظلمون الناس لا عدلاً منهم وإنصافاً، وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عددٍ ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

أي مع كثرة عدد قومه هم بعيدون عن الإعتداء على أحد وظلمه جنباً منهم وخوفاً لا تقوى وشجاعة، والمقصود هنا أن النفي المحض ليس كمالاً على حد ذاته بل يكن نقصاً وإضافةً إلى ذلك بما في تلك الألفاظ من النقص وإيهام الباطل في حق الله عز وجل، ويشتد الإساءة لما يكون المخاطبون بهذه الألفاظ عوام الناس وطغامهم الذين لا يفرقون بين رطب ويابس في حق الله عز وجل.

هذه البلاوي التي فُتِحَتْ على الأحباش هي بسبب جحدهم لآيات الله وأسمائه وإلحادهم فيها ومحاربتهم أولياء الله ومعاداتهم لهم واقتروا العظائم والجرائم بسبب محاربة الله لهم بسببها .

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ

سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ ﴿[البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩].

وفي "صحيح البخاري" عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ».

وقد كثرت العظائم والجرائم فيهم حتى جعلتهم لا يدرون من أين يصابون بدينهم ولا يتفطنون لما يחדش في عقلهم ودينهم وصار حالهم كحال من قيل فيه:

أبني إن من الرجال بهيمة	في صورة الرجل السميع المبصر
فطن في كل مصيبة في ماله	وإذا يصاب بدينه لا يشعر
ذهب القوم المقتدى بفعالهم	والمنكرون لكل أمر منكر
بقيت في قوم يزكي بعضهم	بعضا ليدفع معور عن معور

نسأل الله السلامة والعافية.



موقف الأحباش من علم الكلام

علم الكلام عند الأحباش من أشرف العلوم وأعظمها على الإطلاق تبعًا لإخوانهم المعتزلة المتكلمين. وقال الحبشي في "صريح البيان" له، الطبعة الجديدة (ص ١١)، و مجلة "منار الهدى" رقم (٢٤، ٢٩): «إن أشرف العلوم وأعظمها على الإطلاق هو علم الكلام؛ لأن علم الكلام هو التوحيد الذي أمر الله به». اهـ

وروا عن الجويني أنه رأى إبراهيم عليه السلام في المنام فقال له: عليك بعلم الكلام فإنه يزيل الشبه والبواطيل.

وقد تقدم قولهم أن أول الواجب على العبد النظر وهذا أشرف العلوم وأجلها، بل أن من عاب علم الكلام فهو لا عقل له عندهم فاسمع إلى هذا الضليل الحبشي ماذا يقول في كتابه "إظهار العقيدة السنية" (ص ٣٣)، و "صريح البيان" (ص ٣١):

عاب الكلام أناس لا عقول لهم وما عليه إذا عابوه من ضرر

اسمع لمن يقول فيهم هذا المخذول لا عقول لهم:

قال الإمام الشافعي رحمه الله: حكمي على أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم بالعشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام.

وقال أيضًا للربيع: لا تشغل بالكلام فإني اطلعت من أهل الكلام على التعطيل.

وقال: لو رأيت رجلًا من أهل الكلام يمشي على الماء فلا تركز إليه.

وقال: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد.

وقال أيضًا:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال، حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين^(١)

وقال محمد بن الحسن لبشر المريسي: العلم بالكلام هو الجهل والجهل بالكلام

هو العلم، وإذا صار الرجل رأسًا في الكلام، قيل: تزندق أو رمي بالزندقة.

وقال أيضًا: من طلب العلم بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيما

أفلس، ومن طلب غريب الحديث كُذِب.

قال ابن الصلاح: الفلسفة أس السفه.

قال الإمام الطحاوي: وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ

وَالِاسْتِسْلَامِ، فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهَمُّهُ، حَجَبَهُ

مَرَامُهُ عَنِ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ، فَيَتَذَبَذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ

وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصَدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ، مُوسَّسًا نَائِيًا، شَاكًا، لَا

مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَا حِدًا مُكْذِبًا. اهـ

(١) انظر: أوائل "شرح الطحاوية" لابن أبي العز، عند قول الطحاوي: ولا يثبت قدم الإسلام

على ظهر التسليم والاستسلام، و"الحلية" (١١١/٩) و(٢٨/١٠) و"الحطة في ذكر الصحاح

السته" في: (ذكر فضل علم الحديث).

قال ابن أبي العز رحمه الله في شرحه على هذه الفقرة: وهذه الحالة التي وصفها الشيخ رحمه الله حال كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص ويردّه إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك، كما قال ابن رشد الحفيد، وهو من أعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ومقالاتهم، في كتابه "تهافت التهافت": ومن الذي قال في الإلهيات شيئاً يعتد به؟ وكذلك الأمدّي، أفضل أهل زمانه، واقف في المسائل الكبار حائر. وكذلك الغزالي رحمه الله، انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ، فمات والبخاري على صدره.

• سل المجرب :

قال أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، في كتابه الذي صنفه في أقسام اللذات:
 نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال
 وأزواحن في وحشة من جُسومنا وحاصل دُنيانا أذى ووبال
 ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه: قيل وقالوا
 فكّم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا جميعاً مُسرّعين وزالوا
 وكّم من جبال قد علت شرفاتها رجال، فزالوا والجبال جبال

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، واقرأ في النفي:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ثُمَّ قَالَ: وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي.

وَكَذَا قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الشَّهْرَسْتَانِيُّ، إِنَّهُ لَمْ يَجِدْ عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ إِلَّا الْحَيْرَةَ وَالنَّدَمَ، حَيْثُ قَالَ:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمُعَاهِدَ كُلَّهَا وَسَيَّرْتُ طَرَفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
فَلَمْ أَرِ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرِ عَلَى ذَقْنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وقد أجابه الصنعاني كما في "ديوانه" حيث قال:

لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسول ومن لاقاه من كل عالم
فما حار من يهدي بهدي محمد ولست تراه قارِعًا سِنَّ نَادِمِ
وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو الْمَعَالِي الْجَوْنِيُّ: يَا أَصْحَابَنَا لَا تَشْتَغِلُوا بِالْكَلامِ، فَلَوْ عَرَفْتُ أَنَّ الْكَلَامَ يَبْلُغُ بِي إِلَى مَا بَلَغَ بِي مَا اشْتَغَلْتُ بِهِ. وَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ: لَقَدْ خُضْتُ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ، وَخَلَيْتُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَعُلُومَهُمْ، وَدَخَلْتُ فِي الَّذِي تَهْوِي عَنْهُ، وَالْآنَ فَإِنْ لَمْ يَتَذَكَّرْنِي رَبِّي بِرَحْمَتِهِ فَالْوَيْلُ لابْنِ الْجَوْنِيِّ، وَهَذَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي، أَوْ قَالَ: عَلَى عَقِيدَةِ عَجَائِزِ نَيْسَابُورَ. وَكَذَلِكَ قَالَ شَمْسُ الدِّينِ الْخُسْرُوشَاهِي، وَكَانَ مِنْ أَجَلِّ تَلَامِذَةِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، لِبَعْضِ الْفَضَلَاءِ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا، فَقَالَ: مَا تَعْتَقِدُ؟ قَالَ: مَا يَعْتَقِدُهُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: وَأَنْتَ مُنْشِرِحُ الصَّدْرِ لِذَلِكَ مُسْتَيْقِنٌ بِهِ؟ أَوْ كَمَا قَالَ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، لَكِنِّي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَعْتَقِدُ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَعْتَقِدُ، وَبَكَى حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ. ^(١)

(١) انظر "شرح الطحاوية" عند الفقرة المشار إليها.

هذا هو أشرف العلوم وأجلها عند الأحباش وكل من عابه لا عقل له وكما قيل رمتني بدائها وانسلت ومن توغل في علم الكلام والفلسفة حتى شك في وجود الرب وحرار في المسائل الكبار وأجاز ذلك الحيرة والشكوك في الرب أولى بسخافة العقل وذهوله أم أئمة الدين الذين بينوا بطلانه وأضراره الحقيقية؟

وقال ابن تيمية في "الدرء" (١/١٦٢): وهكذا كل من أمعن في معرفة هذه الكلاميات والفلسفيات التي تعارض بها النصوص من غير معرفة تامة بالنصوص ولوازمها وكمال المعرفة بما فيها وبالأقوال التي تنافيها فإنه لا يصل إلى يقين يطمئن إليه وإنما تفيده الشك والحيرة بل هؤلاء الفضلاء الخذاق الذي يدعون أن النصوص عارضها من معقولاتهم ما يجب تقديمه تجددهم حيارى في أصول مسائل الإلهيات حتى مسألة وجود الرب تعالى وحقيقته حاروا فيها حيرة أوجبت أن يتناقض هذا كتناقض الرازي وأن يتوقف هذا كتوقف الآمدي ويذكرون عدة أقوال يزعمون أن الحق ينحصر فيها وهي كلها باطلة، وقد حكي عن طائفة من رؤوس أهل الكلام أنهم كانوا يقولون بتكافئ الأدلة وأن الأدلة قد تكافأت من الجانبين حتى لا يعرف الحق من الباطل ومعلوم أن هذا إنما قالوه فيما سلكوه هم من الأدلة، وقد حكي لي أن بعض الأذكياء. وكان قد قرأ على شخص هو إمام بلده ومن أفضل أهل زمانه في الكلام والفلسفة وهو ابن واصل الحموي. أنه قال : أضطجع على فراشي وأضع الملحفة على وجهي وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدله هؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندي شيء ولهذا انتهى أمره إلى كثرة النظر في الهيئة لكونه تبين له فيه من العلم ما لم يتبين له في العلوم الإلهية.

قلت: هذا أشرف العلوم وأجلها!! نسأل الله السلامة من العمالة وسخافة العقول.

هذا وغيره من كلام أئمة الدين كثير وما أردنا الإستقصاء وإلا لطال الفصل وفي المذكور كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.^(١)



(١) انظر: "الدرء" لابن تيمية (١/١٥٨)، و"الموسوعة" (٢/٧١٩)، وقد أُلّف في ذم الكلام أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الهروي كتابًا حافلًا نفيسًا سماه "ذم الكلام"، وهو مطبوع في ست مجلدات طبعة: دار العلوم والحكم فراجع.

حكم الإحتفال بمولد النبي ﷺ عند الأحباش

ومولد النبي ﷺ من الأعياد الضخمة عند الأحباش ومواسمهم المحتفلة مع اعتراف الحبشي وأتباعه اختلاف الناس في مولد النبي ﷺ بعد اتفاقهم في كونه ولد عام الفيل ونقل كلام ابن عبد البر في ذكر الخلاف في تعيين ذلك اليوم وقد استدلووا على جوازه بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨]، بل استدل الحبشي كما في مجلة "منار الهدى" بقول ابن تيمية، فقال: حتى أن ابن تيمية لم يحرم المولد بل قال فيه أجر عظيم. اهـ بل زعموا أن النبي ﷺ يحضر ذلك اليوم عياناً يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات.

الإحتفال بمولد النبي ﷺ بدعة منكرة لم يفعلها النبي ﷺ ولا صحابته ولا التابعون لهم بإحسان ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، لو كان خيراً لسبقونا إليه، لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» رواه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها، وقد وسم هذا الحديث من الأحاديث التي يدور عليها أصول الدين وقطب رحاه وبنوا عليه قاعدة أصولية عظيمة وهي أن: (الأصل في العبادات التوقيف) ولا يجوز التشريع للناس ما لم يدل عليه دليل شرعي بل قامت الحجة والأدلة على بطلانه وفساده ومع كونه احتفالاً بدعة منكرة بذاته وقد

انضم إلى ذلك عدة مفاسد من تضييع الفرائض والواجبات، كتضييع الصلوات وترك الجمع والجماعات، واختلاط الرجال بالنساء الأجنيات، وإضاعة المال والممتلكات، والخوض في مال الله بغير حق، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه في الصحيح من حديث خولة بنت حكيم، وفي "الصحيحين" عن مغيرة بن شعبه أن النبي ﷺ قال: «وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

وقد ذكر ابن تيمية في "إقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم" عدة من مفاسدها، قال رحمه الله (ص ٢٩١)، وما بعدها:

منها: مع ما تقدم من المفسدة الاعتقادية والحالية - أن القلوب تستعذبها وتستغني بها عن كثير من السنن، حتى تجد كثيراً من العامة يحافظ عليها، ما لا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس.

ومنها: أن الخاصة والعامة، تنقص بسببها عنايتهم بالفرائض والسنن، ورغبتهم فيها، فتجد الرجل يجتهد فيها، ويخلص وينيب، ويفعل فيها ما لا يفعله في الفرائض والسنن، حتى كأنه يفعل هذه عبادة، ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة، وهذا عكس الدين، فيفوته بذلك ما في الفرائض والسنن من المغفرة والرحمة والركة والطهارة والخشوع، وإجابة الدعوة، وحلاوة المناجاة، إلى غير ذلك من الفوائد. وإن لم يفته هذا كله، فلا بد أن يفوته كماله.

ومنها: ما في ذلك من مصير المعروف منكراً، والمنكر معروفاً. وجهالة أكثر الناس بدين المرسلين، وانتشاء زرع الجاهلية.

ومنها: اشتغالها على أنواع من المكروهات في الشريعة مثل: تأخير الفطور، وأداء العشاء الآخرة بلا قلوب حاضرة، والمبادرة إلى تعجيلها، والسجود بعد السلام لغير سهو، وأنواع من الأذكار ومقاديرها لا أصل لها، إلى غير ذلك من المفاصد التي لا يدركها إلا من استنارت بصيرته، وسلمت سريرته.

ومنها: مسارقة الطبع إلى الانحلال من ربة الاتباع وفوات سلوك الصراط المستقيم، وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر، فتحب أن تخرج من العبودية والاتباع بحسب الإمكان، كما قال أبو عثمان النيسابوري رحمه الله: ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه ثم هذا مظنة لغيره، فينسلخ القلب عن حقيقة اتباع الرسول ﷺ، ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه، أو يكاد، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

ومنها: ما تقدم التنبيه عليه في أعياد أهل الكتاب من المفاصد التي توجد في كلا النوعين المحدثين، النوع الذي فيه مشابهة، والنوع الذي لا مشابهة فيه.

وقال أيضاً: لم يفعله السلف، مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه لو كان خيراً. ولو كان هذا خيراً محضاً، أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص. وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته واتباع أمره، وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به، والجهد على ذلك بالقلب واليد واللسان. فإن هذه طريقة السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان.

وقال عمر بن علي اللخيمي السكدي في رسالته "المورد في عمل المولد": لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة، أحدثها البطالون، وشهوة نفسٍ اعتنى بها الأكالون، بدليل أننا إذا أدركنا عليه الأحكام الخمسة قلنا: إما أن يكون واجباً، أو مندوباً، أو مباحاً، أو مكروهاً، أو محرماً!! وهو ليس بواجب إجماعاً، ولا مندوباً؛ لأن حقيقة المندوب: ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة، ولا التابعون، ولا العلماء المتدبِّتون - فيما علمت - وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلت. ولا جائز أن يكون مباحاً؛ لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين.

وأما استدلال بعضهم على استحسان بدعة المولد بقول عمر: «نعم البدعة هذه»، فاستدلال فاسد.

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم في رسالته في إنكار المولد النبوي والرد على من أجازاه (ص: ٦): وأما استدلال الشنقيطي على أن البدعة في الدين تكون حسنة بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قضية التراويح: «نعمت البدعة هذه» فاستدلال ليس في محله، فإن عمر لم يقصد بذلك تحسين البدعة في الدين. قال الشاطبي في "الاعتصام": إنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال من حيث تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتفق أن لم تقع في زمان أبي بكر رضي الله عنه لا أن هذه بدعة من حيث المعنى، فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسامي، قال: وعند ذلك فلا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه؛ لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم": أما قول عمر: «نعمت البدعة هذه» فأكثر المحتجين بهذا؛ لو أردنا أن نثبت حكماً بقول عمر الذي لم يخالف فيه؛ لقالوا: «قول صاحب ليس بحجة»، فكيف يكون حجة لهم في خلاف قول رسول الله ﷺ؟! ومن اعتقد قول صاحب حجة؛ فلا يعتقده إذا خالف الحديث. فعلى التقديرين: لا تصلح معارضة الحديث بقول صاحب. ثم قال: ثم نقول: أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة، مع حسنها، وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية، وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداءً من غير مثال سابق، وأما البدعة الشرعية؛ فكل ما لم يدل عليه دليل شرعي فإن كان نص رسول الله ﷺ قد دل على استحباب فعلٍ، أو إيجابه بعد موته، أو دل عليه مطلقاً، ولم يعمل به إلا بعد موته، ككتاب الصدقة الذي أخرجه أبو بكر رضي الله عنه، فإذا عمل أحد ذلك العمل بعد موته، صح أن يسمى بدعة في اللغة؛ لأنه عمل مبتدأ. قال: وقد علم أن قول النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة» لم يرد به كل عمل مبتدأ؛ فإن دين الإسلام، بل كل دين جاءت به الرسل؛ فهو عمل مبتدأ، وإنما أراد ما ابتدئ من الأعمال التي لم يشرعها هو ﷺ. قال: وإذا كان كذلك فالنبي ﷺ كانوا يصلون قيام رمضان على عهده جماعة وفرداً، وقد قال لهم في الليلة الثالثة أو الرابعة لما اجتمعوا: «إنه لم يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهة أن يفرض عليكم، فصلوا في بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة»، فعلى ﷺ عدم الخروج بخشية الافتراض، فعلم بذلك أن المقتضي للخروج قائم، وأنه لولا خوف الافتراض لخرج إليهم، فلما كان في عهد عمر؛ جمعهم على قارئ واحد، وأسرج المسجد فصارت هذه الهيئة - وهي اجتماعهم في المسجد وعلى إمام واحد

مع الإسراج - عملاً لم يكونوا يعملونه من قبل، فسمي بدعة؛ لأنه في اللغة يسمى بذلك، وإن لم يكن بدعةً شرعيةً، لأن السنة اقتضت أنه عمل صالح لولا خوف الافتراض، وخوف الافتراض زال بموته ﷺ، فانتفى المعارض.

وقال شيخ الإسلام أيضاً في "الاقتضاء": أما صلاة التراويح فليست بدعة في الشريعة، بل هي سنة بقول رسول الله ﷺ وفعله، فإنه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ عَلَيْكُمْ وَسَنَنْتُ لَكُمْ قِيَامَهُ»، ولا صلاتها جماعة بدعة، بل هي سنة في الشريعة، بل قد صلاها رسول الله ﷺ في الجماعة في أول شهر رمضان ليلتين، بل ثلاثاً. وصلاها أيضاً في العشر الأواخر في جماعة مرات. اهـ

وأما استدلالهم بالآية استدلال في غير موضعه وتحميل للأدلة ما لا تطيق وهذا دأب كل مبتدع زائغ، ودأب كل مبطل يعتمد على آية من كتاب الله أو حديث من سنة رسول الله ﷺ فيستدل بها على بدعته وضلاله، وقال الشاطبي في "الإعتصام" (١/٢٣١، وما بعد): فقد رأينا وسمعنا بعض الكفار أنه استدل على كفره بآية من القرآن. اهـ ثم ذكر أمثلة لذلك.

هذا الذي زعموه أنه دليل ومبرر لفعلهم ليس فيه حجة على ما زعموا ولم يفهموا من النص هذا الفهم أحد من السلف، لو كان خيراً لسبقونا إليه. وهذا خرق لإجماعهم على ترك الاستدلال بها على الفعل المزعوم.

وقال ابن عبد الهادي في "الصارم المنكي في الرد على السبكي" (ص ٤٢٧) في معرض رده على السبكي بتأوله آية من القرآن لما لم يسبق إليه أحد من السلف: هذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه المعارض هذه الآية تأويل باطل قطعاً،

ولو كان حقاً لسبقونا إليه علماً وعملاً وإرشاداً ونصيحة ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه، وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده. اهـ

وقال ابن القثير كما في "مختصر الصواعق": إن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأً ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف. اهـ

وقال الإمام الشاطبي في "الإعتصام" (١/٢٣١): وكذلك كل من اتبع المتشابهات أو حرف المناطات أو حمل الآيات ما لا تحمله عند السلف الصالح أو تمسك بالأحاديث الواهية أو اخذ الأدلة ببادي الرأي له أن يستدل على كل فعل أو قول أو اعتقاد وافق غرضه بآية أو حديث لا يفوز بذلك أصلاً والدليل عليه استدلال كل فرقة شهرة بالبدعة على بدعتها بآية أو حديث من غير توقف حسبما تقدم ذكره. وسيأتي له نظائر أيضاً إن شاء الله. فمن طلب خلاص نفسه تثبت حتى يتضح له الطريق ومن تساهل رتمته أيدي الهوى في معاطب لا مخلص له منها إلا أن يشاء الله. اهـ

وأما تفسير الآية، قال العلامة ابن القثير في "اجتماع الجيوش" في تفسير الآية: وقد دارت أقوال السلف، على أن فضل الله ورحمته الإسلام والسنة، وعلى حسب حياة القلب يكون فرحه بهما، وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحاً،

حتى إن القلب إذا باشر روح السنة ليرقص فرحاً أحزن ما يكون الناس. فإن السنة حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الأمنين، وبابه الأعظم الذي من دخله كان إليه من الواصلين. تقوم بأهلها، وإن قعدت بهم أعمأهم، ويسعى نورها بين أيديهم إذا طفت لأهل البدع والنفاق أنوارهم، وأهل السنة هم المبيضة وجوههم إذا اسودت وجوه أهل البدعة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدعة والتفرق. وهي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداة وفوزه. قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. فصاحب السنة حي القلب مستنيره، وصاحب البدعة ميت القلب مظلمة. اهـ

وأما قول الحبشي أن ابن تيمية لم يحرمه بل قال: «فيه أجر عظيم». هذا إما سوء فهم وجهل بكلام ابن تيمية كما هو شأنه في النصوص، وإما كذب وتليس للحق بالباطل وهو الأقرب هنا وكلام ابن تيمية واضح في سياقه أن الذي أراده بهذه العبارة من فعل ذلك جهلاً بحكمه ومحبة للنبي ﷺ أنه قد يثاب في هذه المحبة لا في البدعة المذكورة، ونص كلام ابن تيمية في «الاعتضاء» في سياق كلامه على المولد: «قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده». اهـ

وكيف حمل كلام ابن تيمية المذكور على عدم تحريم المولد؟ وهو يقول في «الاعتضاء» قبل الكلام المذكور بأسطر: «فنحن نستدل على كونها بدعة على إن إثماها أكبر من نفعها».

وقال في (ص ٢٩٤-٢٩٥): والله تعالى قد يشيهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع من الإتحاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضى به وعدم المانع منه. اهـ

وقال في (ص ٣٧١): من كانت له نية صالحة أثيب على نيته وإن كان الفعل الذي فعله ليس بمشروع إذا لم يتعمد مخالفة الشرع.

وقال في (ص ٢٩٥-٢٩٦): وأكثر هؤلاء الذين تجدهم حراساً على أمثال هذه البدع، مع ما لهم من حسن القصد، والاجتهاد الذي يرجى لهم بهما المثوبة، تجدهم فاترين في أمر الرسول، عما أمروا بالنشاط فيه، وإنما هم بمنزلة من يحلي المصحف ولا يقرأ فيه، أو يقرأ فيه ولا يتبعه وبمنزلة من يزخرف المسجد، ولا يصلي فيه، أو يصلي فيه قليلاً، وبمنزلة من يتخذ المساييح والسجادات المزخرفة. وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تشرع، ويصحبها من الرياء والكبر، والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها. اهـ

ولم يتفرد الحبشي بتحريف كلام ابن تيمية والتعامي فيه، وهذا الشنقيطي محمد بن مصطفى يقول في رسالته في تبرير المولد بعد ما ذكر كلام ابن تيمية المذكور: «فكلام شيخ الإسلام صريح في جواز عمل مولد النبي ﷺ الخالي من منكرات تحالطه». اهـ

وكذا ذكر الشنقيطي المذكور أن ابن تيمية لم يحرم الابتداع في تعظيم النبي ﷺ ثم استدل بكتابه "الصارم المسلول على شاتم الرسول" وكذلك قوله: «ترك

إنكار المنكر إذا أدى إلى أنكر أولى من الإنكار»، وفي الحقيقة كل هذا تلفيق وتحميل للكلام ما لا يطيق ويرده كلام ابن تيمية في سائر كتبه من إنكار البدع مطلقاً.

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم في الرد على الشنقيطي: هذا ما ذكره الشنقيطي مما برر به هذه الدعوى الباطلة. والحق أنه إنما أتى من سوء فهم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وسيرته، وفي نوع ما وقع فيه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الاستغاثة»: «الوهم إذا كان لسوء فهم المستمع لا لتفريط المتكلم لم يكن على المتكلم بذلك بأس، ولا يشترط في العلماء إذا تكلموا في العلم أن لا يتوهم متوهم من ألفاظهم خلاف مرادهم، بل ما زال الناس يتوهمون من أقوال الناس خلاف مرادهم»، وهذا هو عين ما وقع للشنقيطي في عبارات شيخ الإسلام ابن تيمية. وإلى القراء بيان ذلك فيما يلي. اهـ، ثم ذكر من نص كلام ابن تيمية ما ذكر بعضه هنا.

وأما استدلال الشنقيطي في كلام ابن تيمية في ترك إنكار المنكر إذا أدى إلى أنكر، وهذا اعتراف منه على اعتبار ابن تيمية هذا الفعل منكراً وهو كذلك.

وقال الشيخ الغيور محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله: فمن غرائب الشنقيطي الاستدلال به على مشروعية الاحتفال بالمولد ما دام شيخ الإسلام يسمي ذلك منكراً، وإنما اعتبر ما يترتب على محاولة إزالته من خشية الوقوع في أنكر منه عذراً عن تلك المحاولة من باب اعتبار مقادير المصالح والمفاسد، وقد بسط شيخ الإسلام الكلام على هذا النوع في رسالته في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، ومن ضمن بحثه في ذلك قوله: «ومن هذا الباب ترك النبي ﷺ لعبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله من أئمة النفاق والفجور؛ لما لهم من أعوان، في إزالة

منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكثر من ذلك بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن رسول الله ﷺ يقتل أصحابه، ولهذا لما خطب الناس في قضية الإفك بما خطبهم به واستعذر منه، وقال له سعد بن معاذ قوله الذي أحسن فيه حمي له سعد بن عبادة - مع حسن إيمانه وصدقه - وتعصب لكل منهما قبيلته حتى كادت أن تكون فتنة».

ومن هذا يُعلم أن لا ملازمة بين ترك النهي عن الشيء لمانع وبين إباحة ذلك الشيء كما تخيله الشنقيطي. وقد فاتته أن هذه العبارة التي نقلها عن شيخ الإسلام في عدم النهي عن المنكر إذا ترتب عليه الوقوع في أنكر منه لا تصلح جواباً لمن سأل عن حكم الإحتفال بالمولد النبوي وإنما تصلح جواباً لمن سأل عن حكم الإنكار على من اتخذ المولد عيداً إذا ترتب على الإنكار الوقوع في أنكر منه. اهـ

• وشبهات أخرى يبرر فيها أصحاب المولد مولدهم:

١ - ما جاء عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور. أي قاسوا على ذلك المرغبات فقالوا: تحدث لهم مرغبات في الخير بقدر ما أحدثوا من الفتور.

وهذا باطل، أما أولاً: لأن هذا قياس في مقابل النص، فهو من باب فاسد الإعتبار، وقد ثبت النهي عن الإبتداع في الدين، وإذا ثبت النص بطل القياس.

وأما ثانياً: لأن هذا قياس على نص لم يثبت بعد من طريق مرضي.

وأما ثالثاً: على فرض ثبوت هذا الكلام عن عمر بن عبد العزيز ولا يجوز قياس إحداث العبادات عليه، وهو ممن يشمله النهي عن الإبتداع في الدين لا هو مشرع.

وقال محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمته الله: ومن هذه النقول يعلم أن عمر بن عبد العزيز لم يقصد بهذه الكلمة فتح أي باب يناقض الشريعة، وكيف ينسب إلى عمر بن عبد العزيز فتح باب الابتداع في الدين، وهو الذي يقول حينما بايعه الناس بعدما صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه: «يا أيها الناس، إنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد كتابكم كتاب، ولا بعد سنتكم سنة، ولا بعد أمتكم أمة، ألا وإن الحلال ما أحله الله في كتابه على لسان نبيه حلال إلى يوم القيامة، ألا وإن الحرام ما حرم الله في كتابه على لسان نبيه حرام إلى يوم القيامة، ألا وإني لست بمبتدع ولكني متبع». اهـ

٢ - تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة:

هذا تقسيم مبتدع استدل به المبررون للمولد على جواز الاحتفال بالمولد تخصيصاً لعموم حديث: «كل بدعة ضلالة» وهو مردود بعموم الحديث المذكور ولا مخصص له، والقاعدة تقول: يبقى النص على عمومته وإطلاقه حتى يأتي ما يخصه ويقيده، وقد أجرى بعضهم أحكام الشريعة الخمسة على البدعة وهذا مما لا دليل عليه من كتاب ولا سنة.

وقال الشاطبي رحمته الله في «الاعتصام» في رد هذا التقسيم: أن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي بل هو نفسه متدافع لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة ولكان العمل داخلاً في عموم الأعمال المأمورة بها أو المخير فيها فالجميع بين عد تلك الأشياء بدعاً وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متنافيين، أما المكروه منها والمحرم فمسلم من جهة كونها بدعاً لا من جهة أخرى إذ لو دل

دليل على منع أمر أو كراهته لم يثبت ذلك كونه بدعة لإمكان أن يكون معصية كالقتل والسرقه وشرب الخمر ونحوها فلا بدعة يتصور فيها ذلك التقسيم البتة إلا الكراهية والتحريم حسبما يذكر في بابه. اهـ

وقال العلامة زمروق في "شرح رسالة القيرواني" بعدما ذكر هذا التقسيم: قال المحققون إنما تدور - أي البدعة - بين محرم ومكروه لقوله عليه الصلاة والسلام: «كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، وكلام العلماء في رد هذا التقسيم كثير. اهـ

٣- هذه شبهات قال عنها السيوطي في "الحاوي" بعد ما ذكر رسالة الفاكهي في إنكار المولد: «إني وجدت للمولد أصلاً في الشرع وخرجته عليه». اهـ ثم ذكره.

ولا يستغرب هذا من السيوطي، فهو عنده هذا وغيره من الشطحات والويلات التي بناها على أحاديث واهية بل باطلة وموضوعة التي تدل على كونه من خطاب الليل الذين ليس لهم من علم الحديث إلا رسمه وأقرب مثال لهذه رسائله التي طبعت ضمن الحاوي كرسالته "الكشف في مجاوزة هذه الأمة الألف" ورسالة "الأوج في خبر العوج":

• ما روي عن أبي لهب أنه رؤي في المنام فسئل فقال: «إنه يعذب في النار إلا أنه يخفف عنه كل ليلة اثنين وكان ذلك بسبب اعتاقه ثوبية مولاته حين بشرته بولادة محمد ﷺ وبإرضاعها له» إلخ. وكيف يسوغ الإستدلال بهذا على جواز الاحتفال بالمولد في مقابلة تلك الأدلة الصريحة في تحريم الابتداع؟

أولاً: أن هذا رؤيا منامية لا تقوم بها حجة بإجماع المسلمين، إلا ما كان من رؤيا الأنبياء فإن رؤيا الأنبياء وحي.

ثانيًا: أن هذه القصة لا تثبت، فيها إرسال والمرسل عند المحدثين ليس بحجة. وقال الإمام مسلم في (مقدمة كتابه): «المرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم ليس بحجة». اهـ

ثالثًا: أن الكافر لا يثاب على فعل الخير إذا مات كافرًا، قال تعالى: ﴿فَخِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، وقال: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

رابعًا: أن الفرح المذكور من أبي لهب فرح طبيعي لا تعبدي حتى يثاب عليه.

◀ هذا وغيره مما يدل على نكارة هذه القصة وبطلانها.

• ما روي من أن النبي ﷺ عَقَّ عن نفسه بعد ما شرع العقيقة لأمته، وبما أن جده عبد المطلب قد عَقَّ عنه والعقيقة لا تعاد فدل هذا على أنه إنما فعل ذلك شكرًا لله تعالى على نعمة ولادته، وهكذا قال السيوطي.

نقول: أين سند هذه القصة حتى يستدل بها وترد الأدلة الواضحة على بطلانها؟ وعلى فرض ثبوتها ليس فيها إلا مجرد العقيقة عن النفس، وما جاوز ذلك من استدلالكم على جواز الاحتفال بالمولد وغير ذلك هذه مجرد ظنون وشكوك، ثم لو سلمنا أنه فعل ذلك شكرًا ونعمة، وهل اتخذ ذلك اليوم عيدًا يحتفل فيه سنويًا وتعمل فيه تلك المفاصد والمخالفات؟ وأين العقول المذعنة للحق أم عليها الغي والهوى حتى ما تدري بما تلطم نفسها كمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم.

٤- صيام النبي ﷺ يوم عاشوراء وأمره بصيامه، وقوله حين سئل عن ذلك: «يوم نجى الله به موسى من فرعون»، وقالوا: إذا كان صام ذلك اليوم شكرًا بنجاة موسى ونحن أحق بالفرح بيوم ولد فيه النبي ﷺ.

وهذه أوهى من أخواتها كلها، والذي صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه هو الذي ترك تعييد ذلك اليوم ولم يأمر أمته بذلك، أنتم أحق بالاتباع أم النبي ﷺ الذي شرع صيام ذلك اليوم وترك يوم ولادته.

ثم كبير ما في قصة عاشوراء أنه أمر بصيامه وصامه شكرًا وخضوعًا، ثم أنتم تأكلون وتشربون في يوم ولادته وتسرحون وتمرحون بطرًا وغطرسة وتزعمون أنكم قستموه على يوم عاشوراء، وما أبعد هذا القياس، هذا قياس فاسد الاعتبار: أما أولاً: لوجود النص على خلافه وبدعيته.

وأما ثانياً: لأنه قياس في العبادات وهو باطل إجماعاً.

وأما ثالثاً: لأن فيه خللاً في القياس إذ فيه اختلاف الحكم مع اتفاق العلة، الأصل هو صيام عاشوراء، والعلة الفرح بذلك اليوم، والحكم شكر ذلك اليوم بصيامه وأما في المولد اختلف الحكم وهو الصيام بالبطر والغطرسة في احتفاله والتخاذه عيداً وما أبعد هذا وما أجدره بالغي والردى من الاتباع والرشد والهدى، ونظير هذه الشبهة صيام النبي ﷺ يوم الإثنين وتعليه بأن يوم الإثنين يوم ولد فيه ولا يحتاج في بطلانه إلى استدلال لاختلاف فعل النبي ﷺ وفعلهم.

٥ - زعمهم أن هذا قد استحسنه المسلمون وتلقوه بالقبول:

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله: أما دعوى الشنقيطي: أن الاحتفال بذكرى المولد النبوي - وإن كان بدعة - فقد تلقته الأمة بالقبول، فمن أقوى الأدلة على جهالته؛ لأمر:

أحدها: أن الأمة معصومة من الاجتماع على ضلالة، والبدعة في الدين بنص الأحاديث النبوية ضلالة، فمقتضى كلام الشنقيطي: أن الأمة اجتمعت في قضية الاحتفال بالمولد على ضلالة.

الثاني: أن الاحتجاج على تحسين البدع بهذه الدعوى ليس بشيء في أمر تركته القرون الثلاثة المقتدى بهم، كما بينه الشاطبي في "الاعتصام" نقلاً عن بعض مشايخه، ثم قال: «ولما كانت البدع والمخالفات وتواطأ الناس عليها صار الجاهل يقول: لو كان هذا منكراً لما فعله الناس، ثم قال: وما أشبه هذه المسألة بما حكي عن أبي علي بن شاذان بسند يرفعه إلى أبي عبدالله ابن إسحاق الجعفري قال: كان عبدالله بن الحسن - يعني: ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رحمته الله - يكثر الجلوس إلى ربيعة، فتذاكروا يوماً، فقال رجل كان في المجلس: ليس العمل على هذا، فقال عبدالله: أرأيت إن كثرت الجهال حتى يكونوا هم الحكام أفهم الحجة على السنة؟ فقال ربيعة: أشهد أن هذا كلام أبناء الأنبياء».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم": من اعتقد أن أكثر هذه العادات المخالفة للسنن مجمع عليها بناءً على أن الأمة أقرتها ولم تنكرها فهو مخطئ في هذا الاعتقاد، فإنه لم يزل في كل وقت من ينهى عن عامة العادات المستحدثة المخالفة للسنة، قال: ولا يجوز دعوى إجماع بعمل بلد أو بلاد من بلدان المسلمين، فكيف بعمل طوائف منهم! اهـ.

وما أحسن ما قيل:

قد عرف المنكر واستنكر الـ	معروف في أيامنا الصعبة
وصار أهل العلم في وهدة	وصار أهل الجهل في رتبة
حادوا عن الحق فما للذي	ساروا به فيما مضى نسبة
فقلت للأبرار أهل التقى	والدين لما اشتدت الكربة
لا تنكروا أحوالكم قد أتت	نوبتكم في زمن الغربة

وهذه بعض شبههم التي تشبثوا بها في مقابل هذه الأدلة الصحيحة الصريحة وكلها شبه واهية وأباطيل داحضة ما كان منها صحيحاً سنداً ليس صريحاً على المقصود وما كان صريحاً ليس صحيحاً سنداً وكثير منها لا صريحة ولا صحيحة ظلمات بعضها فوق بعض، وصاحب الهوى يتشبث بخيط كخيط العنكبوت.

وخلاصة المقال: أن الاحتفال بالمولد النبوي إذا كان خالياً من المفسد والأضرار المتحتمة عليه - وأنى ذلك - فهو بدعة منكرة لم يفعلها السلف الصالح والقرون المفضلة.

وقال الإمام ابن باز رحمه الله في مطلع رسالته في "حكم الاحتفال بالمولد النبوي": لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا غيره؛ لأن ذلك من البدع المحدثه في الدين؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا غيرهم من الصحابة - رضوان الله على الجميع - ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومتابعة لشرعه ممن بعدهم.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»، أي: مردود عليه، وقال في حديث آخر: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

ففي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها.

وقد قال الله سبحانه في كتابه المبين: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقُدُّوسِ وَالْغَابِرِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ وَآمَنُوا بِرُسُلِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وإحداث مثل هذه الموالد يفهم منه: أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول ﷺ لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به، حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به، زاعمين: أن ذلك مما يقربهم إلى الله،

وهذا بلا شك فيه خطر عظيم، واعتراض على الله سبحانه، وعلى رسوله ﷺ،
والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين، وأتم عليهم النعمة. اهـ

وأما إذا اقترن بالملاهي والأغاني وغيرها من المفاصد المحققة فيه فهو أشد
تحريراً وإثماً وفساداً على رغم أنف من زعم أن هذه عبادة وقربة.

وقال ابن تيمية في فتوى له: «وأما الاجتماع في عمل المولد على غناء ورقص
ونحو ذلك واتخاذ عبادة فلا يرتاب أحد من أهل العلم والإيمان في أن هذا من
المنكرات التي ينهى عنها ولا يستحب ذلك إلا جاهل أو زنديق». اهـ

وما أحسن ما قيل:

يا عصابة ما ضر أمة أحمد وسعى إلى إفسادها إلهي
طار ومزمار ونغمة شادين أرايت قط عبادة بملاهي^(١)



(١) انظر رسالتي الشيخ محمد بن إبراهيم، ورسالة ابن باز، والفاكهي وغيرهم من ضمن
"مجموعات الرسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي".

عدالة الصحابة رضي الله عنهم

قال الإمام البخاري في "صحيحه" في كتاب مناقب الصحابة في تعريف الصحابي: هو كل من رآه أو صحبه من المسلمين. وأدق من هذا قول الحافظ ابن حجر في "النخبة": هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام ولو تخللته ردة على الصحيح.

وقد نقل غير واحد الإجماع على عدالة الصحابة وهم عدول في كتاب الله وسنة رسوله وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨-٩].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرُ السُّجُودِ ذَلِكَ

مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّطَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي "الصحيحين" عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

وعنه في "الصحيح" أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَأْتِي زَمَانٌ يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ فَيَقَالُ فَيْكُمْ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَيَقَالُ نَعَمْ فَيُفْتَحَ عَلَيْهِ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيَقَالُ فَيْكُمْ مَنْ صَحِبَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَيَقَالُ نَعَمْ فَيُفْتَحَ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيَقَالُ فَيْكُمْ مَنْ صَحِبَ صَاحِبَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَيَقَالُ نَعَمْ فَيُفْتَحُ».

وفي "الصحيح" عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ».

وفيه عن البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ».

وفي "الصحيحين" عن عمران بن حصين، وابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ».

وقد نقل الإجماع على عدالة الصحابة غير واحد كابن عبد البر في "الاستيعاب"، وذكره ابن الصلاح في "علوم الحديث"، والشنقيطي في "مذكرة أصول الفقه".

• موقف الأحباش من الصحابة :

وقد لهج الأحباش بسب كثير من الصحابة وتفسيقهم وتنقصهم.

قال صاحب "الموسوعة الميسرة" (١/٤٣٩): يكثر الحبشي من سب الصحابة خاصة معاوية بن أبي سفيان وأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ويطعن في خالد بن الوليد وغيره ويقول: إن الذين خرجوا على علي - يعني معاوية وأصحابه - ماتوا ميتة جاهلية.

ويكثر من التحذير من تكفير ساب الصحابة لا سيما الشيخين ارضاء للرافضة. اه انظر "إظهار العقيدة السنية" (ص ١٨٢).

ويفسق أصحاب معاوية ثم يأخذ مستدلاً بحديث: «سَبَّابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقَتَالُهُ كُفْرٌ» بل يشيع في مجالسه التي يحضرها كل من هب ودب ويذيع ما شجر بين الصحابة مما هو خطأ مغفور بين عوام الناس وطغامهم الذين لا يدركون حقائق الأمور ثم يقول متبجحاً: أقرر هذا في مجالسي تبليغاً للعلم. اه انظر مجلة "منار الهدى" رقم (٢٢/٢٢)، و"الموسوعة" (٢/٨٤٧).

هذه تتمه هفواتهم وشطحاتهم وزلاتهم التي اتسع عليه الخرق وبلاياهم التي خالفوا فيها الخلق وغوايتهم التي خالفوا فيها الهدى والحق وهذا كله منه كما ذكر ارضاء للرافضة الحمقاء وللمعتزلة الغوغاء وبعداً عن دين المسلمين وعقيدتهم

جمعاء ومشاقة لرسولهم واستحقاقاً لغضب رب العالمين وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(١).

وقال شهاب بن خراش كما في "السير" (٣٨٥/٨): أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة وهم يقولون: اذكروا مجلس أصحاب رسول الله ما تتألف عليه القلوب ولا تذكروا الذي شجر بينهم فتحرشوا عليهم الناس.

وقال الإمام الطحاوي: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم. ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم. ولا نذكرهم إلا بخير. وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان. وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في "لاميته":

حب الصحابة كلهم لي مذهب *** ومودة القربى بها أتوسل

وقال في "الواسطية": وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَالسِّتَّةُ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قال الهراس رحمه الله في شرح هذه الفقرة: يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ: إِنَّ مِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّتِي فَارَقُوا بِهَا مَنْ عَدَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ أَنَّهُمْ لَا يُزْرُونَ بِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا يَطْعُنُونَ عَلَيْهِ، وَلَا يَحْمِلُونَ لَهُ حِقْدًا وَلَا بُغْضًا وَلَا احْتِقَارًا، فَقُلُوبُهُمْ وَالسِّتَّةُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بَرَاءٌ، وَلَا يَقُولُونَ فِيهِمْ إِلَّا مَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]..

(١) رواه الطبراني في "الكبير" (١٧٣/٣)، وقال الإمام الألباني في "الصحيحة" (٤٤٦-٤٤٨) بعدما ذكره: فالحديث في مجموع هذه الطرق حسن في أقل درجاته.

الآية. فَهَذَا الدُّعَاءُ الصَّادِرُ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مِمَّنِ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ
مَحَبَّتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَثَنَائِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ أَهْلٌ لِدَٰلِكَ الْحُبِّ
وَالْتَّكْرِيمِ؛ لِفَضْلِهِمْ، وَسَبْقِهِمْ، وَعَظِيمِ سَابِقَتِهِمْ، وَاخْتِصَاصِهِمْ بِالرَّسُولِ ﷺ،
وَلِإِحْسَانِهِمْ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُبَلَّغُونَ لَهُمْ جَمِيعَ مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ، فَمَا
وَصَلَ لِأَحَدٍ عِلْمٌ وَلَا خَبْرٌ إِلَّا بِوَاسِطَتِهِمْ، وَهُمْ يُوقِّرُونَهُمْ أَيْضًا طَاعَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ؛
حَيْثُ نَهَى عَنْ سَبِّهِمْ وَالْعَصْصِ مِنْهُمْ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْعَمَلَ الْقَلِيلَ مِنْ أَحَدٍ أَصْحَابِهِ
يَفْضُلُ الْعَمَلَ الْكَثِيرَ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَذَلِكَ لِكَمَالِ إِخْلَاصِهِمْ، وَصَادِقِ إِيْمَانِهِمْ. اهـ

وقال ابن تيمية رحمه الله في "المنهاج" (٣٩٤/٤): اتفق أهل السنة على أنه لا
تفسق واحدة من الطائفتين وإن قالوا في إحداها إنهم كانوا بغاة لأنهم كانوا
متأولين مجتهدين والمجتهد المخطيء لا يكفر ولا يفسق وإن تعمد البغي فهو
ذنب من الذنوب والذنوب يرفع عقابها بأسباب متعددة كالتوبة والحسنات
المأخوذة والمصائب المكفرة وشفاعة النبي ﷺ ودعاء المؤمنين وغير ذلك. اهـ

وقال في "الفتاوى" (٢٣٠/٣): وقد آل الشر بين السلف إلى الاقتتال مع
اتفاق أهل السنة على أن الطائفتين جميعا مؤمنتان وإن الاقتتال لا يمنع العدالة
الثابتة لهم لأن المقاتل وإن كان باغيا فهو متأول والتأويل يمنع الفسوق. اهـ

وقال الزهري كما في المصدر المذكور: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله
متوافرون فأجمعوا على أن كل مال أو دم أصيب بتأول القرآن فإنه هدر. اهـ

وأما اعتباره ذلك تبليغا للعلم، هذا مما أظهر ضعفه وحقده للصحابه الكرام
الذين أدوا الدين كما أَرَادَهُ اللهُ وشرعه واستحقوا ثناء الله الذي لا يخفى عليه خافية

وقد علم أنهم يقتتلون وعدلهم مع علمه بذلك من فوق سبع سموات، وهل تنقصهم وإشاعة ما شجر بينهم إلا من اتهم الله عز وجل ورسوله في تعديله إياهم ونسب الله ورسوله إلى الجهل وعدم البيان كفى بهذه مصيبة.

فهلا قلت كما قال الصحابة الذين اقتتلوا بعضهم في بعض وجاء عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول أرجوا أن أكون أنا والزبير وطلحة ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَدِّلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وفي "البخاري لا" عن ابن أبي مُليكة قيل لابن عباس هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة قال: أصاب إنه فقيه. وفي رواية إنه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي "البخاري" أيضًا عن عبد الله بن زياد الأسدي قال لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث علي عمار بن ياسر وحسن بن علي فقدموا علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عمارًا يقول إن عائشة قد سارت إلى البصرة والله إنها لزوجت نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكُم ليعلم إياه تطيعون أم هي.

وقد أنكروا على ابن عبد البر إirاده في كتاب "الاستيعاب" بعض ما شجر بين الصحابة، وقال ابن الصلاح في "علوم الحديث" في باب معرفة الصحابة: «هذا علم كبير قد ألف الناس فيه كتبًا كثيرة ومن أحلاها وأكثرها فوائد كتاب "الاستيعاب" لابن عبد البر لولا ما شانه كثيرًا مما شجر بين الصحابة». اهـ

هذا وابن عبد البر إنما يعرض ذلك عرضاً فكيف بمن يذكر ذلك بين عوام الناس مع ما اشتمل من سب بعضهم وتفسيقهم وتضليلهم، نسأل الله السلامة والعافية، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴿ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

• حكم سب الصحابة :

- إن سبهم بما يقتضي تفسيق أكثرهم أو تضليلهم فهذا كفر؛ لأنه قاذح في نقلة الأخبار والشرعية ولأنه تكذيب لله ورسوله.
- وإن سبهم أو بعضهم باللعن والتقييح ففي كفره قولان لأهل العلم فعلى عدم تكفيره يجب حبسه وتعزيره.
- وإن سبهم بما لا يقدح في عدالتهم كالجبن والبخل، وهذا لا يكفر ولكن يعزر.
- أما من رمى أم المؤمنين بما برأها الله منه فهو كفر إجماعاً بل ومن شك في كفره فهو كفر لأنه راد لظاهر القرآن وكذا من رمى سائر أمهات المؤمنين على الصحيح لأنه راد لقوله تعالى: ﴿ الْحَيِثُتُ لِلْحَيِثِثِ وَالْحَيِثُثُ لِلْحَيِثِثِ وَالْحَيِثُثُ لِلْحَيِثِثِ وَالْحَيِثُثُ لِلْحَيِثُثِ ﴾ [النور: ٢٦].
- وقال القاضي أبو يعلى رحمته الله : من رمى عائشة بما برأها الله كفر بلا خلاف. اهـ
- وقال الإمام الطحاوي رحمته الله : من أحسن القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد بريء من النفاق. اهـ^(١)

(١) انظر أواخر "الصارم المسلول"، و"القواعد المثلى" عند الكلام على الصحابة.

موقف الأحباش من أئمة الدين

من عقيدة الأحباش الرديئة الطعن والتنقص والتضليل والتكفير لأئمة الدين الذين سعوا في نشر العقيدة السنية وتعليم الناس أمور دينهم وحل مشكلاتهم ومعضلاتهم وتفنيد شبهاتهم، وكان على رأس هؤلاء الأئمة الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، وقد صنف فيه الحبشي كتابًا مفردًا ونسبه فيه إلى الضلال والزيف بل وكفره، ومحمد بن عبد الوهاب النجدي، وقد وصفوه بأنه قاتل خبيث كافر، والإمام الذهبي، ووصفوه بأنه خبيث، والإمام الألباني، وقال فيه الحبشي: هو مجوسي وإن زعم أنه من أمة محمد ﷺ، ويقول: عنه على سبيل التشكيك فيه: إن مات مسلمًا!، بل وصفه بعض الأحباش بأنه ليس بمحدث يقولها ثلاثًا، بل كفّروا كل من ليس على دربهم وسيرهم ولذا تجدهم يأتون على الجوامع الكبار في بعض البلدان ثم يستنطقون المصلين بالشهادتين بعد الصلاة ويظن دهماء الناس أن هذا عبارة عن أداء أذكار بعد الصلاة وإنما هم يسلموهم ويدخلوهم في الإسلام على زعمهم بعد أن كانوا كافرين.

ولما كان الحبشي مبتلى بعلم الكلام وأهله وبغض أهل الأثر وقليل البضاعة في المأثور عن النبي ﷺ وصحابته وأتباعه الكرام صار يعادي في الباطل ويفسق وكفر ويوالي بالباطل من مرق من دين الإسلام مروق السهم من الرمية وأقرب مثال لهذا تكفيره لهؤلاء الأئمة وعلى رأسهم شيخ الإسلام وقد أفرد فيه كتابًا في الطعن فيه وتنقصه وتضليله ويتشبه في ذلك بنقول كاذبة لا أصل لها في كتبه

وأقواله، كالقول بقدوم العالم، وتمثيل صفات الخالق بصفات المخلوقين، وهذه كلها أكذوبات وصاحبها بحاجة إلى إثبات هذه الأقوال من كتب ابن تيمية الموثقة.

وأما ما جاء عنه: القول بفناء النار لعل المراد من هذا القول القول بفناء نار الموحدين لا إطلاق النار كما فصل ذلك ابن القيم في "الوابل الصيب" وهذا اللائق بابن تيمية، ولو فرض أنه أراد نار المشركين لكان هذا مردوداً على صاحبه، والحق أحق أن يتبع.

وأما تكفير: ابن تيمية بسبب هذه الفتوى فهذه مهزلة شيطانية وأمانى زندقية أوقعت صاحبها في الحيرة والضلال وقال النبي ﷺ: « **أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ** » هو في الصحيحين من حديث ابن عمر وغيره.

ثم يقال للأحباش إذا كان يلزم من القول بفناء النار الصادر عن مجتهد معذور التكفير فاليشهد شيخكم الحبشي على نفسه بالكفر وقد قال كما في الموسوعة: أن عبد القادر الجيلاني ينفخ نفخة في النار فيطفئها، وهذا في الحقيقة هو عين القول بفناء النار وأبشع هذا لا مقارنة بين شيخ الإسلام ابن تيمية الإمام المجتهد وبين هذا الحبشي الضليل الزنديق.

صارت مشرقة وصرت مغرب * شتان بين مشرق ومغرب.**

وما ضرت هذ التنقصات والطعوانات ابن تيمية ولا غيره من أئمة الدين، وإنما أظهرت ضغن أصحابها وحقنهم على أئمة الدين وعامتهم.

ياناطح الجبل العالي ليوهنه * اشفق على الرأس لا تشفق على الجبل**

وقد كان مجمعا على علمه وفضله وحفظه وقد أطلق عليه غير واحد من أئمة الدين لقب شيخ الإسلام كالحافظ الكبير أبو الحجاج المزي، وتلميذه البار ابن القيم، وابن حجر، والسيوطي، وغيرهم حتى قال بعضهم: ما رأيت المزي كتب بخطه لأحد أنه شيخ الإسلام إلا لابن تيمية ولابن السبكي. أو نحو مما قال.

فانظر إلى الحافظ ابن حجر مع ما عنده من هفوات في بعض المسائل التي خالف فيها ابن تيمية ومنهج السلف، يقول في ابن تيمية أنه شيخ الإسلام عدلا منه وورعا وإنصافا أسأل الله أن يغفر له ولأئمة ديننا أجمعين.

قال السخاوي رحمه الله في "الجواهر والدرر" في ترجمة الحافظ ابن حجر في معرض سرد تقریظات ابن حجر للكتب ما نصه: ومن ذلك ما كتب في الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية شيخ الإسلام كافر لحافظ الشام ابن ناصر الدين في سنة خمس وثلاثين وحدث به في أواخر السنة التي تليها بالشام بقراءة صاحبنا النجم الهاشم: الحمد لله وسلام على عباده الذين أصطفى وقفت على هذا التأليف النافع والمجموع الذي هو للمقاصد التي جمع لأجلها جامع، فتخفقت سعة إطلاع الإمام الذي صنفه وتضلعه من العلوم النافعة بما عظمه بين العلماء وشرفه. وشهرة إمامه الشيخ تقي الدين أشهر من الشمس، وتلقيه بشيخ الإسلام باق إلى الآن على الألسنة الزكية ويستمر غدا كما كان بالأمس ولا ينكر ذلك إلا من جهل مقداره أو تجنب الإنصاف مما أكثر غلط من تعاطي ذلك وأكثر عثارة. فالله تعالى هو المسؤول أن يقينا شرور أنفسنا وحصائد ألسنتنا بمنه وفضله، ولو لم يكن من الدليل على إمامة هذا الرجل إلا مانبه عليه الحافظ الشهير علم الدين البرزالي في تاريخه أنه لم يوجد في الإسلام من اجتمع في جنازته لما مات في جنازة الشيخ تقي الدين وأشار إلى أن جنازة الإمام أحمد

كانت حافلة جداً شهدها ما بين مئي ألوف، ولكن لو كان بدمشق من الخلائق نظير من كان ببغداد بل أضعاف ذلك لما تأخر أحد منهم عن شهود جنازته. اهـ

قلت: الثاني أقرب في حق الأحباش وهو أنه تجنب للإنصاف وتعصب للمذهب الباطل ولذا تجد الحبشي وأتباعه يدافعون عن ابن عربي والحلاج ونحوهم الذين بين أئمة الدين مروقهم من الإسلام ويعتذرون لهم باعتذارات باردة وفي المقابل يرمون أئمة الدين بما قد ذكر بعضه.

وقد وصف ابن تيمية الحافظ ابن حجر في التلخيص بأنه: «حافظ».

وكذلك إمامة الذهبي وتلقيه بالحافظ أشهر من أن يحتاج له، وحتى ذكروا عن الحافظ ابن حجر أنه كان يشرب ماء زمزم ويقول: اللهم لحفظ كحفظ الذهبي.

وكذلك إمامة محمد بن عبد الوهاب النجدي وأن الله جدد به الدين فأزهق الله به شركيات وخرافات الصوفية التي كانت استولت على بلاد الحرمين وجاهد في إزالة ذلك في سبيل الله حتى فتح الله على يديه تلك البلاد وصارت بلاد التوحيد والسنة بعد ما كان فيها ما كان، وأغاظ ذلك الحبشي وأتباعه وأمثالهم الذين لا تقرأ أعينهم حتى يروا عياناً في الأرض يعبد غير الله المتسبون إلى الإسلام والخير ويدعى غيره ويستغاث ويستعاذ به ويطلب منه قضاء الحوائج... إلخ، نسأل الله أن يزهق الشرك وأهله ويسدد أهل التوحيد ويكثر سوادهم في الناس.

وكذا الإمام الألباني وقد كان مشهوداً بإمامته وسعة اطلاعه وعلمه عند الحميم والبغيض^(١).

(١) انظر "السلسلة الضعيفة" (٤/ ٥-٦) وفيه قول عبد الله الغماري: يعرف الحديث معرفة جيدة. وأخيه الأكبر: وأقبل على علم الحديث فأتقنه جداً جداً. مع قوله فيه: وهو خبيث الطبع وهابي تيمية جلد. اهـ

وقال الإمام ابن باز: ما أعلم تحت أديم السماء أعلم بعلم الحدث من الألباني.

وقال العلامة ابن عثيمين: هو واسع الباع، كثير الاطلاع، شديد الإقناع.

وقال الإمام الوادعي: كل من جاء بعده عيال على كفته. أو كما قال. (١)

ومناقب هؤلاء الأئمة مبسوبة في مواضعهم ولا يكفي المقام لذكرها ولا لذكر بعض منها ولكن كما قيل:

هممت أن أصف الحمى وبروقه *** ولكن من الأشياء ما لا يوصف (٢)

وقد شهد كل من جاء بعد هؤلاء الأئمة لهم بالخير والصلاح وقد قال النبي ﷺ حين مروا عليه بجنازة فأتوا عليها خيراً، ثم مروا بأخرى فأتوا عليها شراً فقال: «وَجَبَتْ»، فقيل: يا رسول الله ما وجبت، قال: «هَذَا أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ». (٣)

وقال في حديث آخر: «أَيُّهَا مُسْلِمُ، شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ» فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ، قَالَ: «وَثَلَاثَةٌ» فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ، قَالَ: «وَاثْنَانِ» ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ. (٤)

(١) هذه النقولات نقلها لنا شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري في بعض دروسه.

(٢) وقد أفرد غير واحد ترجمة لابن تيمية وأحسنها كتاب ابن عبد الهادي "الدرر النقية في ترجمة ابن تيمية"، وكذلك في ترجمة محمد بن عبد الوهاب النجدي وهو مترجم ضمن علماء نجد، وكذلك ترجمة الإمام الألباني هناك جزء مفرد في "جهود الإمام الألباني الحديثية والعقدية".

(٣) في "الصحيحين" عن أنس بن مالك.

(٤) في "الصحيحين" عن عمر بن الخطاب.

وثبت في "السنن" عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: «يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ، مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، قَالُوا: بِمَ ذَاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ».

وهؤلاء أئمة دين شهد لهم عدول الناس وذروة من جاء بعدهم بالخير وأما من قال فيهم خلاف ذلك كالأحباش فهذه شهادة زور وتعصب لا يضر بإجماع أهل العدل والإنصاف وشهادتهم هذه مردودة على رقابهم لأنهم ليسوا بعدول والله يقول: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، وليست شهادتهم مرضية عند المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، بل هي شهادة زور وجور وقد قال النبي ﷺ: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ»، قال: أبو بكرة: فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى قُلْتُ: لَا يَسْكُتُ.

وقال الله تعالى في وصف عباده الصالحين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].



موقف الأحباش من الأحاديث: صحيحة وضعيفة

وقد ملؤوا كتبهم بالأحاديث الضعيفة والموضوعة الموافقة لأهوائهم ويحتجون بها في إبطال الحق الذي دلت عليه الأدلة الواضحة الصحيحة وترويج الباطل الذي تأباه الأدلة الصحيحة وترفضه ويكثر ذلك في موسم المولد لأنه أوان يحضرهم به الشيطان ويجري في ألسنتهم تلك المجازفات والخزعات في فضائل المولد وشاهديه وحضور النبي ﷺ إياه بروحه وجسده.

هذا ولا يجوز الاستدلال بالأحاديث الضعيفة بل ولا يجوز ذكر الأحاديث الموضوعة إلا على سبيل بيان حالها وعوارها، فكيف على سبيل الاحتجاج بها، والنبي ﷺ يقول: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، وفي رواية: «مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ...» (١)

وفي الحديث الآخر: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ» (٢).

وفي المقابل تسيطروا على الأحاديث الصحيحة ردًا وتحريفًا وتعطيلًا وقد ردوا حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه في قصة الجارية وهو في "صحيح مسلم" المتلقى بالقبول بين الأمة، وزعموا فيه الإضطراب وما فيه اضطراب وإنما اضطربت

(١) هو حدث متواتر في "الصحيحين" وغيرهما عن عدد من الصحابة: كأنس، والزبير، وعلي، والمغيرة، وغيرهم، واللفظ الأخير هو في "البخاري" لسلمة ابن الأكوع.
(٢) رواه "مسلم" في مقدمة كتابه عن المغيرة بن شعبة.

عقول أهل الأهواء التي مصها الإلحاد والطغيان وابتلعها الغي والهوى وكذلك ردوا حديث عبد الله بن أنيس في نداء الله عز وجل بصوت وحرف لما خالف أصلهم الفاسد وهو حديث حسن بمجموع طرقه عند المحدثين وقد تقدم استدلال الأئمة بالحديث.

وهذا كله محامة لمذهب باطل وإعراض عما جاء به النبي ﷺ المأمور باتباعه في المنشط والمكره وبما وافق هوى النفس وبها خالفها.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وجعلوا المشرع هو رغبات أنفسهم وأهوائهم ومن قلدوهم لا الله ورسوله وهذا في الحقيقة شأن أهل الكتاب الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وهذا لبيان ضلالات القوم وجنائتهم على السنة النبوية على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء.

كثرة الاضطرابات عند الأحباش التي تدل على بطلان معتقداتهم

ومما يدل على بطلان معتقد الأحباش اضطرابهم في تعيين المعنى الذي زعموه أنه المقصود بالنص وهكذا دأب أهل الأهواء تجدهم يأولون النص ويحرفونه عن المعنى الحق اتفاقاً منهم ثم يبقون حيارى يرد بعضهم على بعض في تعيين ذلك الذي ذهبوا إليه وهذا واضح جداً في بطلان ما ذهبوا إليه من تأويل النصوص عن ظاهرها تحريف الكلم عن مواضعه.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

واختلف الذين أبطلوا صفة المجيء والإتيان، قال بعضهم: مجيء أمره، وقال بعضهم: مجيء ملكه ورسوله. وقالوا في صفة النزول: نزول الرحمة، وقال الآخرون: نزول الملك. وهكذا.

قال الحبشي في الاستواء في الأشهر عنه الذي عليه أكثر أصحابه أن الاستواء هو الاستيلاء، وقال أيضاً: المقصود بالرحمن على العرش استوى: أي العرش استوى على الرحمن، وقال مرة: استوى استواءً يليق بجلاله يعني هو الاستيلاء.

وقال كثير منهم: الله لا داخل العالم ولا خارجه لامتصلا به ولا منفصلا عنه، وقال الآخرون منهم: هو في كل مكان بذاته، وقال الآخرون: هو تحت الأرض بذاته ثم أخذ يستدل صاحب هذا القول بحديث: «أَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» وهذه في الحقيقة مع كونها غفلة سحيقة - إذ في الحديث أيضًا: «أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ» ولم يستدل بها أحد من السلف على هذا المعنى - وهي مزلة عميقة وصاحبها في شفا زندقة؛ لأن لازمها بل مضمونها أن الله محل للقاذورات والخسيسيّات، يالها من سخافة عقل وسلاية دين، نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

ومن اضطرابه أيضًا ما تقدمت الإشارة إليه من زعمه أن العقيدة لا تبنى على أخبار الآحاد ثم استدلاله بها بل بالضعيف منها على العقيدة وبنوا على ذلك قناطير مقنطرة، وهذه كلها تدل على أن الرجل وأتباعه معرضون عن أدلة الكتاب والسنة ومقبلون على علم الكلام والسفسطة وهذا وغيره الذي خدش في دين الرجل وعقيدته حتى ما بقي له من الإسلام إلا اسمه ولا من اتباع الرسول إلا رسمه.

أبني إن من الرجال بهيمة ❖❖❖ في صورة الرجل السميع المبصر
فطن في كل مصيبة في ماله ❖❖❖ وإذا يصاب بدينه لا يشعر

الخيانة العلمية عند الأحباش

فتاوى الحبشي مع كونها مملوئة بكل رطب ويابس وهي مملوئة بالكاذيب والخاينات العلمية في الإحالة ونقل الإجماع وتبشير الكلام كشأن سائر أهل الأهواء والحبشي الكذب شعاره والتليس والتدليس دثاره وقد ملأ كتبه بأقاول باطلة وشاذة زاعماً فيها أن عليها إجماع المسلمين وهي في الحقيقة أقوال لبعض أهل الأهواء كالجبرية والقدرية وقد تقدم مثال ذلك في مسألة الظلم وصفة الحكمة وينقل عن بعض الأئمة كلاماً حقاً موهماً فيه الباطل الذي يروجه ويصح المثل فيه حين ذاك كلمة حق أريد بها باطل كنقله قول الطحاوي: «من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر». مستدلّاً به في نفي ما ينفيه من الصفات.

وقد ابتلي الحبشي بتركلام الأئمة وإخراجه عن مقصوده واقرب مثال لهذا بتره لكلام ابن تيمية في المولد من أنه قال: «فيه أجر عظيم». وهذا مع ما تقدم من كلام ابن تيمية في نفس السياق في تحريم الاحتفال بالمولد وبيان أضراره ومقاصده، وكذلك بتر كلام الإمام أحمد بن حنبل في قوله: «ما زال الله متكلماً إذا شاء». وهذه نص عبارته في كتابه «الرد على الجهمية» وقد نقل الحبشي هذه العبارة عن الإمام أحمد فاقصر على قوله: «ما زال الله متكلماً». دون قوله: «إذا شاء». تأييداً لمذهبه الباطل في نفي صفة الكلام المتعلق بالمشيئة والقدرة.

بعض الفتاوى الشاذة التي يلهج بها الحبشي عند عوام الناس

لما كان الحبشي قليل الباع والاعتماد في أدلة الكتاب والسنة كثر في فتاويه الشذوذ والنكارة والاضطراب بسبب ما ذكر وبسبب اعتماده على الأحاديث الضعيفة والأقوال الشاذة على حساب دينه، ولهذا أفتت اللجنة الدائمة وغيرها بأنه لا يجوز الاعتماد على شيء من فتاويهم وسيأتي - إن شاء الله - فتوى اللجنة الدائمة غير مبتور.

• فتواه بجواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه :

سئل الحبشي كما في شرط له و "الموسوعة" (٩٢٣/٢) عن حكم ذبيحة من لا يصلي؟
فقال: تؤكل.

وسئل: وهل يجوز أن تأكل إذا لم يذكر اسم الله عليه؟
قال: نعم تؤكل.

وهذه فتوى شاذة مخالفة لأمر الله ورسوله وفاتحة عليه باب فتنة وشر، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ولا يجوز أكل ذبيحة من لم يذكر اسم الله عليها لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وفي "الصحيحين" عن رافع بن خديج أن النبي ﷺ قال: « مَا أَهَرَ الدَّمَ، وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلُّهُ ».

وفيهما عن عدي بن حاتم أنه سأل النبي ﷺ قائلاً: أُرْسِلُ كُلِّي فَأَجِدُ مَعَهُ كَلْبًا آخَرَ؟ قَالَ: «لَا تَأْكُلْ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا سَمَّيْتَ عَلَى كَلْبِكَ وَلَمْ تُسَمِّ عَلَى آخَرَ».

والصحيح حتى ولو ترك التسمية ناسياً لا تحل ذبيحته لعمومات هذه الأدلة ويرفع عنه الإثم بالنسيان لقول الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، وقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنَّسْيَانَ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ». وهو حديث صحيح بمجموع طرقه.

• فتواه في شرب الخمر :

سئل كما في المصدر المذكور عن: حكم شرب الخمر.

فقال: عند بعض الفقهاء لا يجوز التداوي بالخمر في حال من الأحوال ، يجوز عند بعضهم اعطاء المريض جرعة من الخمر لإساعة اللقمة بالنسبة لمن أصيب بالغصة يجوز أن يسيغ اللقمة بالخمر وقال بعضهم يجوز التداوي بالخمر إن لم يوجد دواء غيره. اهـ

هذه فتوى مملوءة بالغش والخداع وقد سأل السائل عن حكم شر الخمر وهو يأتي يتكلم عن اختلاف الفقهاء في التداوي بالخمر إيهاماً منه للسائل أن ما سأل عنه هو كالمسألة المجاب عنها أو هي نفسها، هذا والله عين الخداع والغش للناس في أمور دينهم، وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، وقد ذم الله عز وجل أهل الكتاب في تلبيسهم الحق بالباطل فقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ

أَلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْنُمُونَ أَلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ [آل عمران: ٧١] ، وصدق النبي ﷺ إذ يقول: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ».

أما حكم شرب الخمر: متفق على تحريمه، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ»، وقال: «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ».

وأما ما ذكره من اختلاف الفقهاء في التداوي بالخمر هذا مما لا يعبأ به بعد ثبوت النهي عن النبي ﷺ، إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

وفي "صحيح مسلم" أَنَّ طَارِقَ بْنَ سُؤَيْدٍ الْجُعْفِيَّ، سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْخَمْرِ، فَنَهَاهُ - أَوْ كَرِهَ - أَنْ يَصْنَعَهَا، فَقَالَ: إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ».

وفي "صحيح البخاري" عن ابن مسعود أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ». وثبت مرفوعاً.

وأما قوله: يجوز عند بعضهم إعطاء جرعة من الخمر لاساغة اللقمة... إلخ وهذا نفسه غش وتليس وإنما الذي قرره بعض الفقهاء يجوز شرب الخمر لمن أصيب بالغصة إذا لم يجد ما يسيغ به الغصة إلا خمرًا؛ لأنه في حال الإضطراب ومتوقف شفاؤه بإساغة اللقمة لا مطلقاً كما أوهمه الغشاش وأوهم أن كل من أصيب بالغصة له أن يشرب الخمر، ومن أجاز ذلك؟ آله أذن لكم أم على الله تفترون؟

وقال الإمام النووي في "شرح مسلم" عند الحديث المذكور: وفيه التصريح بأنها ليست بدواء فيحرم التداوى بها لأنها ليست بدواء فكأنه يتناولها بلا سبب وهذا هو الصحيح عند أصحابنا أنه يحرم التداوى بها وكذا يحرم شربها للعطش وأما اذا غص بلقمة ولم يجد ما يسيغها به إلا خمرًا فيلزمه الاساعة بها لأن حصول الشفاء بها حينئذ مقطوع به بخلاف التداوى والله أعلم. اهـ

والحبشي يتتبع رخص العلماء وهفواتهم وزلاتهم قد قيل قديماً من تتبع رخص العلماء تزندق ويستصحب تلك الهفوات والزلات إلى غير موضعها ثم ينشرها بين عوام الناس الذين عرف ميلهم إلى الرخصة والتسهيل والإتكال على فتوى شيخ ما لما عندهم من الجهل وإحسان الظن، إلى الله المشتكى من دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها.

• فتاوى أخرى شاذة للحبشي :

وللحبشي فتوى في جواز أخذ الربا من الكفار، وجواز المقامرة معهم لسلب أموالهم، وجواز السرقة منهم، والإحتيال في الدين، وجواز الصلاة متلبساً بالنجاسة، وعدم وجوب الزكاة في غير الذهب والفضة ولا يجب ذلك حتى فيما تفرع منها، وغير ذلك من الفتاوى الباطلة المتدافعة بنفسها.

• فتاوى الحبشي الشاذة المتعلقة بالمرأة :

وللحبشي فتوى في جواز النظر إلى المرأة الأجنبية النظرة الأولى مهما طال، ويجوز للمرأة الخروج ولو رغماً عن إرادة زوجها، ويحيز لها الخروج متزينة بجميع أدوات الزينة متعطرة متطيبة، ويحيز لها لبس البنطلون الضيق وحتى الفيزون

الشفاف الضيق، ويجيز لها كشف ساقها ولا يلزمها تغطيتها كليهما، ويجيز لها الاختلاط بالرجال، وينبه إلى أن المعنى الحقيقي للاختلاط إنما هو التضام والتلاصق أي المباشرة ويجيز للرجل أن يكلم المرأة الأجنبية ولو من غير حاجة. انظر "الموسوعة".

هذا وغيره من الفتاوى الشاذة الكثيرة التي تدل على أن الرجل ليس أهلاً للفتوى لقلة تقواه وورعه وخيائه العلمية، وعدم صدقه وعلمه وحيائه وورعه التي هي مناط العلم والتقوى التي سقط بها عن سوق أهل السنة وعلمائها، وما أحسن ما قيل:

وليس بمنسوبٍ إلى العلم والنهى	فتى لا تُرى فيه خلائقُ أربعُ
فواحدةٌ: تقوى الإله التي بها	يُنال جسيمُ الخير والفضلُ أجمعُ
وثانيةٌ: صدقُ الحياءِ فإنه	طباعٌ عليه ذو المروءةِ يطبعُ
وثالثةٌ: حلمٌ إذا الجهلُ أطلعتُ	إليه خبايا من فجورٍ تسرَّعُ
ورابعةٌ: جودٌ بملكٍ يمينه	إذا نابَه الحقُّ الذي ليسُ يدفعُ

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في "نونيته":

العلم قال الله قال رسوله	قال الصحابة هم أولو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة	بين الرسول وبين رأي فلان
كلا ولا جحد الصفات لربنا	في قالب التنزيه والسبحان
كلا ولا نفى العلو لفاطر الأ	كوان فوق جميع ذي الأكوان
كلا ولا عزل النصوص وأنها	ليست تفيد حقائق الإيمان

ولبعض أهل العلم:

العلم قال الله قال رسوله	قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة	بين النصوص وبين رأي سفيه
كلا ولا نصب الخلاف جهالة	بين الرسول وبين رأي فقيه
كلا ولا رد النصوص تعمدا	حذرا من التجسيم والتشبيه
حاشا النصوص من الذي رميت به	من فرقة التعطيل والتمويه

وقد كنا ناقشنا كثيراً من فتاويه ثم رأينا الاختصار وعد التطويل
لوضوح بطلانها ومخالفتها لأدلة الكتاب والسنة.



فاعتبروا يا أولي الأبواب

• إن الله ابتلاكم بالحبشي ليرى أيها تطيعون أم هو :

◀ قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]

وقال الحبشي: لا بأس أن تدعو غير الله وتستغيث به.

◀ وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]

وقال الحبشي: لا بأس أن تستغيثوا بغير الله وتقولوا: يا دسوقي أغثني ويا بدوي أغثني يستجيبون لكم.

◀ وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

وقال الحبشي: إلا تُسمع وتُقضى حوائجك.

◀ وقال الله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤].

وقال الحبشي: إلا يسمعون.

◀ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤].

وقال الحبشي: إلا فإنك تكرمهم برد أرواحهم ويحضرون الموالد ويستجيبون الدعوات ويفرجون الكربات.

◀ وقال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وقال الحبشي: لا استولى، وقال مرة: بل العرش على الرحمن استوى.

﴿ وقال الله تعالى: ﴿ءَأَمْنُكُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ ﴾ [الملك: ١٦].

وقال الحبشي: لا، من ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه.

﴿ وقال النبي ﷺ: ”ينزل ربنا تبارك وتعالى“ .

وقال الحبشي: لا، ينزل أمر ربنا أو رسول ربنا.

﴿ وقال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال الحبشي: لا، ما كلم الله موسى تكليماً حقيقة، وإنما يتكلم في الأزل لا لما جاء موسى.

﴿ وقال النبي ﷺ: ”ضحك الله الليلة“ .

قال الحبشي: لا، بل رضي الله منذ الأزل.

﴿ وقال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال الحبشي: عبثاً لا لحكمة.

﴿ وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وقال الحبشي: لا، لا يقدر على الظلم وإنما على غالب الأشياء.

﴿ وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ﴾ [فاطر: ٤٤].

وقال الحبشي: إلا يعجز عن الظلم.

﴿ وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

وقال الحبشي: لأنك لا تستطيع ذلك لا تتمدح علينا بذلك.

﴿ وقال الله تعالى في الحديث القدسي: "إني حرمت الظلم على نفسي".

وقال الحبشي: لا، بل لا تقدر أصلاً.

﴿ وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال الحبشي: لا، ما أنزل إليك بيان بل ظاهر كلامك وكلام الله كفر.

﴿ وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ

رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي».

وقال الحبشي: إلا، ما ندعوا لهم بالخير بل نسب معاوية من كان معه،

ونفسقهم ونسب عائشة وخالد بن الوليد ... إلخ.

﴿ وقال الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

[الكهف: ٢٩]. ﴿وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨].

وقال الحبشي وأتباعه: لا، بل لا مشيئة لنا ونحن مجبورون ومقسورون ثم

معذبون بدون اختيار لنا ومشيئة للفعل.

﴿ وقال الله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] ، وقال: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا

مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وقال الحبشي: لا، الإيذان لا يزيد ولا ينقص.

﴿ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال الحبشي: إلا، كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لجائر.

﴿ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقال الحبشي واتباعه: اقربوا الزنا إذا كانت المزنى بها كافرة.

وغير ذلك مما خالف فيه النصوص الواضحة الذي يدل على قلة عقله ودينه.

وهذه إشارة إلى ما عنده من تعمد المخالفة لأدلة الكتاب والسنة والإعراض

عنها والإنشغال بغيرهما على سبيل المثال لا على الإستقصاء.



فتاوى العلماء الأعلام في
عبد الله الحبشي وأتباعه فرقة الأحباش

• فتوى اللجنة الدائمة (١):

س: هل عبد الله الهرري الحبشي خدم الإسلام أم هدمه؟

ج: الرجل المذكور رجل سوء، من رءوس البدعة والضلال في هذا العصر، وقد جند نفسه وأتباعه لهدم عقيدة المسلمين التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه والتابعون، وجمعوا لأنفسهم مذهبا فاسدا في الفقهيات، ملؤوه بكل شاذ ورديء من القول لا سند له من كتاب أو سنة، ولهم أوابد وطوام كثيرة في الاعتقادات والعمليات، والطعن في أئمة هذا الدين. فالواجب على المسلمين في كل مكان الحذر والتحذير من هذه الفرقة الضالة، ومن أفكارها المنحرفة، وآرائها الشاذة.

نسأل الله الكريم أن يكف عن المسلمين شرهم وغيرهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو: صالح الفوزان

عضو: بكر أبو زيد

الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز

نائب الرئيس: عبد العزيز آل الشيخ

وقالت اللجنة الدائمة أيضاً:

فقد ورد إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أسئلة واستفسارات حول (جماعة الأحباش) والشخص الذي تنتمي إليه المدعو عبد الله الحبشي، القاطنة في لبنان، ولها جمعيات نشطة في بعض دول أوروبا وأمريكا وأستراليا، فاستعرضت اللجنة لذلك ما نشرته هذه الجماعة من كتب ومقالات، توضح فيها اعتقادها وأفكارها ودعوتها.

وبعد الاطلاع والتأمل فإن اللجنة تبين لعموم المسلمين ما يلي:

أولاً: ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، وله ألفاظ آخر، وقال عليه الصلاة والسلام: «أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وإن من أهم الخصال التي امتازت بها تلك القرون المفضلة، وحازت بها الخيرية على جميع الناس: تحكيم الكتاب والسنة في جميع الأمور، وتقديمها على قول كل أحد كائناً من كان، وفهم نصوص الوحيين الشريفين حسب القواعد الشرعية واللغة العربية، وأخذ الشريعة كلها بعمومها وكلياتها، وآحادها وجزئياتها، ورد النصوص المتشابهات إلى النصوص المحكمات، ولهذا استقاموا على الشريعة وعملوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، ولم يزدوا فيها ولم ينقصوا، وكيف يحدث منهم زيادة أو نقص في الدين وهم مستمسكون بالنص المعصوم من الخطأ والزلل؟

ثانياً: ثم خلفت من بعدهم خلوف كثرت فيهم البدع والمحدثات، وأعجب كل ذي رأي برأيه، وهجرت النصوص الشرعية، وأولت وحرفت لتوافق الأهواء والمشارب، فشقوا بذلك الرسول الأمين، واتبعوا غير سبيل المؤمنين، والله سبحانه يقول: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] ومن فضل الله عز وجل على هذه الأمة أنه يقيض في كل عصر من العلماء الراسخين من يقوم في وجه كل بدعة تشوه جمال الدين، وتعكر صفوه، وتزاحم السنة أو تقضي عليها، وهذا تحقيق لوعد الله بحفظ دينه وشرعه في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقول النبي ﷺ في الحديث الثابت في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»، وله ألفاظ أخرى.

ثالثاً: ظهرت في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري جماعة يتزعمها عبد الله الحبشي الذي نزح من الحبشة إلى الشام بضلالته، وتنقل بين دياره حتى استقر به المقام في لبنان، وأخذ يدعو الناس على طريقته، ويكثر أتباعه وينشر أفكاره التي هي أخلاط من اعتقادات الجهمية والمعتزلة والقبورية والصوفية، ويتعصب لها ويناظر من أجلها، ويطلع الكتب والصحف الداعية إليها. والناظر فيما كتبه ونشرته هذه الطائفة يتبين له بجلاء أنهم خارجون في اعتقادهم عن جماعة المسلمين (أهل السنة والجماعة) فمن اعتقاداتهم الباطلة على سبيل المثال لا الحصر:

١- أنهم في مسألة الإيمان على مذهب أهل الإرجاء، ومعلوم أن عقيدة المسلمين التي كان عليها الصحابة والتابعون ومن سار على هديهم إلى يومنا هذا

أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، فلا بد أن يكون مع التصديق موافقة وانقياد وخضوع للشرع المطهر، وإلا فلا صحة لذلك الإيمان المدعى. وقد تكاثرت النقول عن السلف الصالح في تقرير هذه العقيدة، ومن ذلك قول الإمام الشافعي رحمه الله: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر».

٢- يجوزون الاستغاثة والاستعاذة والاستعانة بالأموات ودعائهم من دون الله تعالى، وهذا شرك أكبر بنص القرآن والسنة وإجماع المسلمين، وهذا الشرك هو دين المشركين الأولين من كفار قريش وغيرهم، كما قال الله سبحانه عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وقال جل وعلا: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَتُجَنَّبُونِ مِنْ هَٰذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]، ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ﴾ [الأنعام: ٦٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، وقال النبي ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، أخرج أهل السنن بإسناد صحيح والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهي تدل على أن المشركين الأولين يعلمون أن

الله هو الخالق الرازق النافع الضار، وإنما عبدوا آلهتهم ليشفعوا لهم عند الله، ويقربوهم لديه زلفى؛ فكفرهم سبحانه بذلك، وحكم بكفرهم وشركهم، وأمر نبيه بقتالهم حتى تكون العبادة لله وحده كما قال سبحانه: ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَهُ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] وقد صنف العلماء في ذلك كتباً كثيرة، وأوضحوا فيها حقيقة الإسلام الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وبينوا فيها دين أهل الجاهلية وعقائدهم وأعمالهم المخالفة لشرع الله، ومن أحسن من كتب في ذلك: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في كتبه الكثيرة، ومن أخصرها كتابه: "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة".

٣- أن القرآن عندهم ليس كلام الله حقيقة ومعلوم بنص القرآن والسنة وإجماع المسلمين، أن الله تعالى يتكلم متى شاء، كيف شاء، على الوجه اللائق بجلاله سبحانه، وأن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقيقة، حروفه ومعانيه، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال جل وعلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال سبحانه: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] وقال جل جلاله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥] والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة. وتواتر عن السلف الصالح إثبات هذه العقيدة، كما نطقت بذلك نصوص القرآن والسنة والله الحمد والمنة.

٤- يرون وجوب تأويل النصوص الواردة في القرآن والسنة، في صفات الله جل وعلا، وهذا خلاف ما أجمع عليه المسلمون، من لدن الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم، إلى يومنا هذا، فإنهم يعتقدون بوجوب الإيثار بما دلت

عليه نصوص أسماء الله وصفاته من المعاني من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وآياته، ولا يكييفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه لا سمي له، ولا كفو له، ولا ند له، قال الإمام الشافعي رحمته الله: «آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله». وقال الإمام أحمد رحمته الله: «نؤمن بها ونصدق ولا نرد شيئاً، ونعلم أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حق وصدق، ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه».

٥- ومن عقائدهم الباطلة: نفي علو الله سبحانه على خلقه. وعقيدة المسلمين التي دلت عليها آيات القرآن القطعية، والأحاديث النبوية، والفطرة السوية، والعقول الصريحة: أن الله جل جلاله، عال على خلقه، مستو على عرشه، لا يخفى عليه شيء من أمور عباده. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] في سبعة مواضع في كتابه، وقال جل شأنه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال جل وعلا: ﴿هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال جل وعز: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال جل جلاله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] وغيرها من الآيات الكريمات. وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحاح الشيء الكثير، ومنها: قصة المعراج المتواترة، وتجاوز النبي صلى الله عليه وسلم السموات سماء سماء، حتى انتهى إلى ربه تعالى، فقربه وأدناه، وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة، فلم يزل يتردد بين موسى عليه السلام وبين ربه تبارك وتعالى، ينزل من عند ربه إلى عند موسى،

فيسأله كم فرض عليه؟ فيخبره فيقول: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فيصعد إلى ربه فيسأله التخفيف. ومنها ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»، وثبت في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»، وفي «صحيح ابن خزيمة» و«سنن أبي داود» أن النبي ﷺ قال: «العرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»، وفي «صحيح مسلم» وغيره في قصة الجارية، أن النبي ﷺ قال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة». وعلى هذه العقيدة النقية درج المسلمون: الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان إلى يومنا هذا والحمد لله.

ولعظم هذه المسألة وكثرة دلائلها التي تزيد على ألف دليل أفردا أهل العلم بالتصنيف، كالحافظ أبي عبد الله الذهبي في كتابه: «العلو للعلي الغفار»، والحافظ ابن القيم في كتابه: «اجتماع الجيوش الإسلامية».

٦- أنهم يتكلمون في بعض أصحاب النبي ﷺ بما لا يليق ومن ذلك تصريحهم بتفسيق معاوية رضي الله عنه، وهم بذلك يشابهون الرافضة - قبحهم الله - والواجب على المسلمين الإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وحفظ ألسنتهم مع اعتقاد فضلهم، ومزية صحبتهم لرسول الله ﷺ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» رواه البخاري ومسلم، ويقول جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] وهذا الاعتقاد السليم نحو أصحاب النبي ﷺ هو اعتقاد أهل السنة والجماعة على

مر القرون، قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: «ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان».

رابعاً: ومما يؤخذ على هذه الجماعة ظاهرة الشذوذ في فتاويها، ومصادمتها للنصوص الشرعية من قرآن أو سنة، ومن أمثلة ذلك: إباحتهم القمار مع الكفار لسلب أموالهم، وتجويزهم سرقة زروعهم، وحيواناتهم، بشرط أن لا تؤدي السرقة إلى فتنه، وتجويزهم تعاطي الربا مع الكفار، وجواز تعامل المحتاج بأوراق اليانصيب المحرمة، ومن مخالفاتهم الصريحة أيضاً: تجويزهم النظر إلى المرأة الأجنبية في المرأة، أو على الشاشة ولو بشهوة، وأن استدامة النظر إلى المرأة الأجنبية ليس حراماً وأن نظر الرجل إلى شيء من بدن المرأة التي لا تحل له ليس بحرام وأن خروج المرأة متزينة متعطرة مع عدم قصدتها استمالة الرجال إليها ليس بحرام وإباحة الاختلاط بين الرجال والنساء إلى غيرها من تلك الفتاوى الشاذة الخرقاء، التي فيها مناقضة للشريعة، وعد ما هو من كبائر الذنوب من الأمور الجائزات المباحات. نسأل الله العافية من أسباب سخطه وعقوبته.

خامساً: ومن أساليبهم الوقحة للتنفير من علماء الأمة الراسخين، والإقبال على كتبهم، والاعتماد على نقولهم -سبهم وتقليلهم والخط من أقدارهم، بل وتكفيرهم، وعلى رأس هؤلاء العلماء: الإمام المجدد شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية -رحمه الله تعالى- حتى إن المدعو: عبد الله الحبشي ألف كتاباً خاصاً في هذا الإمام المصلح، نسب فيه إلى الضلال والغواية، وقوله ما لم يقله، وافترى عليه، فالله حسبي، وعند الله تجتمع الخصوم.

ومن ذلك أيضا طعنهم في الإمام المجدد، الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - ودعوته الإصلاحية التي قام بها في قلب جزيرة العرب، فدعا الناس إلى توحيد الله تعالى ونبد الإشراف به سبحانه، وإلى تعظيم نصوص القرآن والسنة والعمل بها، وإقامة السنن وإماتة البدع، فأحيا الله به ما اندرس من معالم الدين، وأمات به ما شاء من البدع والمحدثات، وانتشرت آثار هذه الدعوة - بفضل الله ومنته - في جميع أقطار العالم الإسلامي، وهدى الله بها كثيرا من الناس، فما كان من هذه الجماعة الضالة إلا أن صوبوا سهامهم نحو هذه الدعوة السنية ومن قام بها، فلفقوا الأكاذيب وروجوا الشبهات، وجحدوا ما فيها من الدعوة الصريحة إلى الكتاب والسنة، فعلوا ذلك كله تنفيرا للناس من الحق، وقصدا للصد عن سواء السبيل، عياذا بالله من ذلك. ولا شك أن بغض هذه الجماعة لهؤلاء الصفوة المباركة من علماء الأمة دليل على ما تنطوي عليه قلوبهم من الغل والحق على كل داع إلى توحيد الله تعالى، والتمسك بما كان عليه أهل القرون المفضلة من الاعتقاد والعمل، وأنهم بمعزل عن حقيقة الإسلام وجوهره. سادسا: وبناء على ما سبق ذكره وغيره مما لم يذكر؛ فإن اللجنة تقرر ما يلي:

١- أن جماعة الأحباش فرقة ضالة، خارجة عن جماعة المسلمين (أهل السنة والجماعة)، وأن الواجب عليهم الرجوع إلى الحق الذي كان عليه الصحابة والتابعون في جميع أبواب الدين في العمل والاعتقاد، وذلك خير لهم وأبقى.

٢- لا يجوز الاعتماد على فتوى هذه الجماعة؛ لأنهم يستبيحون التدين بأقوال شاذة، بل ومخالفة لنصوص القرآن والسنة، ويعتمدون الأقوال البعيدة الفاسدة لبعض النصوص الشرعية، وكل ذلك يطرح الثقة بفتاويهم والاعتماد عليها من عموم المسلمين.

٣- عدم الثقة بكلامهم على الأحاديث النبوية، سواء من جهة الأسانيد، أو من جهة المعاني.

٤- يجب على المسلمين في كل مكان الحذر والتحذير من هذه الجماعة الضالة، ومن الوقوع في حبالها تحت أي اسم أو شعار، واحتساب النصح لأتباعها والمخدوعين بها، وبيان فساد أفكارها وعقائدها. واللجنة إذ تقرر ذلك وتبينه للناس تسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجنب المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يهدي ضال المسلمين، وأن يصلح أحوالهم، وأن يرد كيد الكائدين في نحورهم، وأن يكفي المسلمين شرورهم، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد العزيز آل الشيخ	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

• فتوى الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله :

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم ت . م سلمه الله سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فأشير إلى استفتائك المقيد بإدارة البحوث العلمية والإفتاء برقم ٣١٣ وتاريخ ٢٥ / ١ / ١٤٠٦ هـ الذي تسأل فيه عن الطائفة المنتسبين لرئيسهم المدعو عبد الله الحبشي .

وأفيدك أن هذه الطائفة معروفة لدينا فهي طائفة ضالة ورئيسهم المدعو عبد الله الحبشي معروف بانحرافه وضلاله فالواجب مقاطعتهم وإنكار عقيدتهم الباطلة وتحذير الناس منهم ومن الاستماع لهم أو قبول ما يقولون ولا شك أن من أنكر أن

الله في السماء فهو جهمي ضال كافر مكذب لقول الله تعالى : ﴿ أَمْ أُنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [المك ١٧] وما جاء في معناها من الآيات والأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ ولا ريب أن ما ذكره ابن بطوطة عن شيخ الإسلام ابن تيمية من تشبيه نزول الله عز وجل بنزوله من درجة المنبر أمر مفترى لا أساس له من الصحة ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلها تدل على كذب ذلك والله المستعان. (١)

• فتوى الإمام محدث العصر محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله :

وسئل كما في سلسلة الهدى والنور رقم شريط (٣١٦) إن شيخا يدعى عبد الله الهرري الحبشي ذهبنا إليه فأشار علينا بحفظ ألفية العراقي ووجدت له جماعة في أوروبا نسبت الحال إليه ماذا تقول عنه كلمة موجزة ؟ أونحو ذلك ، فأجاب قائلاً :

أنا أقول: الشيخ الحبشي أولاً رجل مذهبي وثانياً متعصب على أهل السنة والجماعة فأكثر من ذلك إنه يصرح بتكفير شيخ الإسلام ابن تيمية كبعض الذين ابتلين بهم في بلدنا هذا وقد استطاع مع الأسف الشديد بسبب خلو البلاد اللبنانية ممن يدعو إلى اتباع الكتاب والسنة علناً استطاع أن يكتل حوله بعض الشباب المسلم وأن يضلوا معه ضلالاً بعيداً وكذلك تجدهم متحمسين على غير هدى مع الشيخ الحبشي ، ويكفرون كل من ليس على طريقته ومذهبه الأشعري في علم الكلام ، في عقيدته هو أشعري وفي الفقه هو شافعي متعصب مقيت .

وقال أيضا: هو - يعني عبدالله الحبشي - بلاشك منحرف عن الإسلام لكن يبدو أنه ممكن يكون مدسوساً باسم الإسلام لإضرار الإسلام والمسلمين .

وقال أيضا: هم من أجهل الناس إن لم يكونوا من أضل الناس وهم في منتهى الحماقة إن لم يكونوا في منتهى الضلال .

(١) انظر "مجموع فتاوى ابن باز" (٩ / ٣١٥) ، ط. أصدقاء المجتمع .

وانظر: شريط رقم (١٣٧) و(٣١٦) و(٦٩٥) من "سلسلة الهدى والنور".

• فتوى الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله :

سئل الشيخ مقبل رحمه الله كما في "تحفة المجيب" بسؤال ما نصه: هناك رجل حبشي الأصل يقال له: عبدالله الحبشي، يقول: بأن الذي يدعي أن الله فوق العباد فهو كافر، وينشر هذه العقيدة بين العامة، مع العلم أنه صوفي؟
فأجاب بما نصه: هو رجل ضال، وقد ردّ عليه الشيخ الألباني حفظه الله تعالى.

• فتوى الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي رحمه الله :

سئل العلامة كما في شريط "هدم قواعد الملبسين" بسؤال ما نصه: انتشر فكر الأحباش عندنا في خارج المملكة خاصة في أوربا فهل هؤلاء القوم كفار؟
فأجاب قائلاً: ما نقدر أن نطلق عليهم الكفر، من قامت عليه الحجة كفر ومن وقع في الحلول ووحدانية الوجود منهم يكفر. ا.هـ

• فتوى الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله:

«..فرايت هذا الهري وإياهم جمعوا في أقوالهم وعقيدتهم كلّ بلاء فأخذوا من الرافضة ومن الجهمية ومن المعتزلة ومن الصوفية والمرجئة وخلطوا من كلّ هذه الفرق الضالة في منهجهم الفاسد ما هو كفيل بهدم دين الله الحقّ فالواجب شدة الحذر والتحذير من هذا الرجل المارق وفرقته..». ا.هـ

هذا آخر ما يسرّ الله جمعه عن هذه الفرقة الضالة فأسأل الله بمنّه وكرمه أن يدفع عنا وعن المسلمين في شتّى بقاع الأرض الفتن ما ظهر منها وما بطن والحمد لله رب العالمين.

انتهى مصححاً في ٢٦/ربيع الثاني/١٤٣٣هـ

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فهرس المحتويات

تقديم فضيلة العلامة الناصح الأمين يحيى بن علي الحجوري حَفَظَهُ اللهُ ...	٣
تقديم فضيلة الشيخ الفقيه محمد بن علي بن حزام البعداني حَفَظَهُ اللهُ	٤
المقدمة	٥
كلمة شكر	١٢
فرقة الأحباش	١٣
توحيد الله عز وجل	١٦
توحيد الأسماء والصفات	١٦
استواء الله على عرشه:	١٦
• شبهات والجواب عنها:	٢٨
وشبهة أخرى:	٣٠
صفة الكلام لله عز وجل	٣٥
عقيدة الأحباش في صفة الكلام	٣٦
القرآن عند الأحباش	٣٩
قيام الصفات الفعلية بذات الله عز وجل	٥٠
• الصفات الفعلية عند الأحباش:	٥٠
معنى قول السلف: «بلا كيف، ولا معنى، ومقر كما جاءت» ونحو ذلك	
من العبارات:	٥٩

- ٦٠..... موقف الأحباش من هذه العبارات: •
- ٦٢..... صفة الإرادة لله عز وجل.....
- ٦٤..... عقيدة الأحباش في القدر: •
- ٦٩..... هل يجب الرضا بكل مقضي؟.....
- ٧١..... صفة القدرة عند الأحباش.....
- ٧٤..... خلق الله الخلق لا لحكمة عند الأحباش.....
- ٧٥..... الأحباش في الإيمان مرجئة.....
- ٧٩..... إلحاد الأحباش في أسماء الله عز و جل.....
- ٨٠..... ظواهر النصوص عند الأحباش: •
- ٨١..... ما هو القدر المشترك بين الخالق والمخلوق في الأسماء والصفات؟.....
- ٨٤..... توحيد الألوهية.....
- ٨٤..... أول الواجب عند الأحباش: •
- ٨٧..... حكم الساجد للصنم عند الأحباش: •
- ٨٩..... توحيد الربوبية الذي أقر به كفار قريش عند الأحباش: •
- ١٠٠..... موقف الأحباش من السنة.....
- ١٠٣..... تقسيم ألفاظ النصوص إلى مجاز وحقيقة.....
- ١٠٥..... إساءة أدب الحبشي مع رب العالمين.....
- ١٠٨..... موقف الأحباش من علم الكلام.....
- ١١٠..... سل المجرى: •
- ١١٤..... حكم الإحتفال بمولد النبي ﷺ عند الأحباش.....

- عدالة الصحابة رضي الله عنهم ١٣٣
- موقف الأحباش من الصحابة : ١٣٥
- حكم ساب الصحابة : ١٣٩
- موقف الأحباش من أئمة الدين ١٤٠
- موقف الأحباش من الأحاديث: صحيحة وضعيفة ١٤٦
- كثرة الاضطرابات عند الأحباش التي تدل على بطلان معتقداتهم .. ١٤٨
- الخيانات العلمية عند الأحباش ١٥٠
- بعض الفتاوى الشاذة التي يلهمج به الحبشي عند عوام الناس ١٥١
- فتواه مجاوز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه : ١٥١
- فتواه في شرب الخمر : ١٥٢
- فتاوى أخرى شاذة للحبشي : ١٥٤
- فتاوى الحبشي الشاذة المتعلقة بالمرأة : ١٥٤
- فاعتبروا يا أولي الألباب ١٥٧
- فتاوى العلماء الأعلام في عبد الله الحبشي وأتباعه فرقة الأحباش . ١٦١
- فتوى اللجنة الدائمة: ١٦١
- فتوى الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله : ١٧٠
- فتوى الإمام محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله : ١٧١
- فتوى الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمته الله : ١٧٢
- فتوى الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي رحمته الله : ١٧٢
- فتوى الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله : ١٧٢
- فهرس المحتويات ١٧٣